

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190283

UNIVERSAL
LIBRARY

حصہ اول نمبریں - التاریخ

تاريخ
الدولة المملوكونية

والمالك التي انفصلت عنها



تأليف
نجيب أرمهم طراد

طبع

بنفقة ونفقة جرجي حنا غرزوزي

مدير المطبعة اللبنانية



حق اعادة طبعه محفوظ للمؤلف

طبع بالمطبعة اللبنانية في بيروت سنة ١٨٨٦

المقدمة

كلما تقدم الانسان في معارج التمدن والفلاح تزداد رغبته في استطلاع حقائق الامور واستجلاء غوامضها ويدرك لذلك ضرورة البحث عن احوال القدماء الاولى ملأت قصصهم صحف الاسفار وسارت بذكر اعمالهم الركبان في سائر الاقطار بعد ان وجفت الارض من هول حروبهم العظيمة التي اثارها اطاعهم فاتت البشر بفوائد جليلة لم تكن بحسبانهم كيف لا وهي تسهيل انتشار المعارف والعلوم وامتزاج الشعوب لسبب اتساع نطاق الممالك

ولما كان اسم اسكندر المكدوني الكبير المعروف بذى القرنين اشهر من نار على علم وكان ما كتب الى الان في لغتنا عن الدولة المكدونية والممالك التي انفصلت عنها غير واف بالمطلوب بادرت الى جمع تاريخ هذه الدولة سالكا فيه مسلك

الأوربيين في سرد الأخبار وتحري الحقائق ما أمكن
ومتجشماً عناء مطالعة الكتب المطولة
لاقتطف منها ما يلذ للقارئ ذكره
ويطيب لذوي الاستبصار نشره
فكاهة لابناء الوطن
الكرام وتمة
للفائدة



توطئة

مَثَلُ الشُّعُوبِ وَالْمَالِكِ كَمَثَلِ الْإِنْسَانِ الَّذِي قُضِيَ
 عَلَيْهِ أَنْ يَعِيشَ أَوْلاً طِفْلاً مَرْضِعاً لَا يَعْلَمُ مَا حَوْلُهُ وَلَا يَطْلُبُ
 غَيْرَ مَا تَحْتَاجُ إِلَيْهِ طَبِيعَتُهُ الضَّعِيفَةُ قِيَاماً بِمَا تَقْتَضِيهِ أَسْبَابُ الْحَيَاةِ
 وَهُوَ مُلْتَمِئٌ أَذْكَ لَا إِرَادَةَ لَهُ وَعَرَضَةٌ لِاسْتِقَامٍ وَإِنْ تَكُنْ خَفِيفَةً
 تَذِيقُهُ عَذَاباً أَلِيماً وَتَجْرَعُهُ أَحْيَاناً كَأْسَ الْحَمَامِ قَبْلَ أَنْ يَرَى أَوْ
 يَدْرِكَ مِنَ الْعَالَمِ شَيْئاً . فَإِذَا اسْتَظْهَرَتْ فِيهِ عَوَامِلُ الْبَقَاءِ عَلَى
 دَوَائِي الْمَاتِ وَسَرَتْ بِجَسَمِهِ قُوَى الشَّيْبَةِ مِيسِرَةً مِنَ الْفَوَاعِلِ
 الْخَارِجِيَةِ بِمَا يَزِيدُهَا زَهَاءً وَنَمَاءً تَرَعْرَعُ جَبَّاراً عَظِيماً يَجْشَمُ الْإِتْعَابُ
 وَيَقْتَمُ الْإِخْطَارُ سَاعِياً لِنَيْلِ مَا تَدْفَعُهُ إِلَيْهِ الْأَطَاعَةُ حَتَّى إِذَا انْقَضَى
 زَمَنُ الْحَدَاثَةِ وَالْفِتَاءِ سَبَقَ عَلَى رَغْبِهِ إِلَى الشَّيْخُوخَةِ وَالْهَرَمِ فَيَنْخَلِّ
 هَذَا الْمَرْكَبُ وَيَصْبِحُ أَمْرُهُ مَاضِياً . عَلَى أَنْ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْحَالَتَيْنِ
 أَحْوَلاً كَثِيراً يَقِفُ الْمَوْتُ فِيهَا لِلنَّاسِ بِالْمُرْصَادِ لِيَنْخَطِفَ مِنْهُمْ
 عَاجِلاً أَوْ آجِلاً مَنْ يَعْثُرُ جَوَادِ عَمْرِهِ فِي عَقِبَةِ الْحَيَاةِ وَهَكَذَا نَرَى
 الْمَالِكِ الْعَظِيمَةَ الَّتِي خَفَّتْ أَعْلَامُ مَجْدِهَا فَوْقَ الْأَمْصَارِ لَمْ تَصِلْ
 إِلَى تِلْكَ الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا مِنَ الْبَذَخِ وَرَفْعَةِ الشَّانِ الْآبَعْدِ

ان ثقلت مدة مديدة على حضيض التواني والخمول وفاجأتها
من الزرايا ما اودى بام كثيرة الى مهاوي الذل والاضمحلال
ولم تلبث زماناً طويلاً رافلةً بجلل السعادة والفلاح حتى ادركها
الضعف والضعفة فاخذت في السقوط بسرعة او على مهل كما
اخذت في الارتقاء قبلاً او حسب الاسباب الداعية الى ذلك
وكما ان المرء يجهل المحوادث التي جرت في صغره اذ لم
يخبر بها كذلك الامم فانها قلما تعلم من نفسها شيئاً اكيداً عن
اصلها لان احوالها واعمالها قبل تمدنها مستورة عنها بحجب ظلام
القدم ولا تدري سوى خرافات منشأها الجهل والاوهام فتنتقلها
الابناء عن الاباء والاجداد كأنها حقائق تاريخية وعليه
فالمكدونيون مع كونهم مجاورني اليونان او متزجين بهم قلما
يعرف خبرا اكيد او مهم عن احوالهم قبل ايام فيلبس ابي اسكندر
الكبير لجهلهم العظيم وعدم مبالاتهم بتسطير اخبارهم وافعالهم
ولقد المع بعض الى تاريخهم القديم وهاك بيان ذلك محصلاً في
القرن الثامن قبل المسيح رحل كارانس الارغوسي سليل
اركيلس^(١) من بلاده لاسباب سياسية واحتل مع جماعة من

(١) اسم بطل يوناني عبد بعد موته قال اليونانيون انه ابن جوبتير رئيس الالهة
وانه عمل اعمالاً غريبة فاق بها جميع البشر وكل ذلك كما لا يخفى حديث خرافة

مواطنيه مدينة أَدَسَا في مكدونية وسكن بها بعد ان دوَّخ اهالي
تلك البلاد وقد حكى الرواة المورخون امورا كثيرة بعيدة عن
التصديق كان بودنا ان نولي جميعها صحيفة الاعراض غير ان
غرض هذا التأليف يدعونا الى ذكر بعضها استطرادا فننبه
القارئ اللبيب الى غرابته وعدوله عن جادة الصواب والامكان
لان ما نراه غير مستطاع الان كان مستحيلا قَبْلًا

زعموا ان آلهة السماء ارادت مساعدة كارانس ورافاقه
فارسلت اليهم معزى تقودهم الى أَدَسَا ليستوطنوها ويجعلوها
قاعدة مملكتهم الجديدة فدعوها لذلك أَجِي اي مدينة المعزى
وكان اعتقاد المكدونيين بهذا الامر قويا حتى انهم اتخذوا صورة
الماعز رايات ونقشوها على تقودهم وعلم كارانس واصحابه ضعفهم
وعدم استطاعتهم ملك هذه الارجاء زمانا طويلا اذالم يتزلفوا
من الاهلين فاخذوا في موادتهم وتعليمهم امورا كثيرة مفيدة
وادخلوهم في دينهم وهذبوا لغتهم بان اضافوا اليها بعض
اصطلاحات والفاظ يونانية فتوطدت الالفه بينهم واحب
هولاء البرابرة حاكمهم الحديثين وكان ذلك سببا لعظمة
مكدونية المستقبل

وتبوا بعد كارانس عرش مكدونية عدة ملوك أركيليين

كانوا يجهدون في توسيع نطاق مملكتهم وشن الغارة على الامم
المجاورة غير انه لما كان المرء لا يدرك كل ما يتمناه اخفق
مسعاهم احياناً وذل بعضهم بدلاً من الانتصار لكنهم لم يفقدوا
حريتهم واستقلالهم بل ظلوا مرهوبين الجانب مكرمين

ومن ملوك مكدونية الشهيرين ارخلاً وس الاول الذي
ارتقى سوير الملك سنة ٤١٦ ق.م وكان هذا الامير بطلاً مغواراً
فحارب الشعوب المجاورة واستولى على عدة مدن ومن افعاله
العظيمة التي خلدها التاريخ اجتهاده في تهذيب شعبه واصلاح
بلاده فاجزل صلات الفلاسفة والمعلمين وسهل لرعاياه وسائل
اكتساب العلوم والمعارف وبنى اسواراً امنية وحصوناً حصينة
ليقي مدائنه من هجمات الاعداء وانشأ طرقاً واسعة ومستقيمة
في اكثر اقسام البلاد ليمهد سبل التجارة والفلاح الا ان رسول
الحمام لم يمهله طويلاً بل اخنطفه بعد ملك ست سنوات بينما
هو جاهد في تحقيق آماله واجراء اعمال لم يسبقه اليها احد
من اسلافه

وكثرت بعد موت ارخلاً وس الفتن الاهلية لسبب
اتقسام واطاع العائلة الملكية فاصبحت لذلك مكدونية واهية
القوى محمولة العري وفقدت ما اكتسبته قبلاً من النجاح

ورفعة الشأن فدخلها برديس رئيس الايلريين سنة ٢٨٥ ق م
 وخلع امينتاس الثاني ابا فيلبس وملك عوضاً عنه أر جيوس
 الذي اقر بسيادة برديس ورضي بدفع الجزية التي فرضت
 عليه

وكان امينتاس قد استجار بالنساليين والسرطيين
 فانتصروا له وطردهوا عدوه وملكوه على جميع البلاد سنة ٢٨٠
 ق م فاستتب له الامر وجعل عاصمة مملكته مدينة بلا وعاش
 بها مدة مديدة بالراحة والهناء متوخياً صداقة اللكديمونيين
 والآثينيين

وخلف امينتاس ثلاثة بين اسكندر وبرديكاس وفيلبس
 فملك اسكندر ستين ومائتاً تاركاً المملكة لبرديكاس الذي
 كان وقتئذٍ قاصراً ورأس بوزنياس وهو امير اركيلي ضعفة
 فسلبه الملك غير ان افتراطس القائد الاثيني حاربه
 وانتصر عليه وارجع برديكاس ملكاً واقام وصياً له بطلاموس
 اخاه النفل فطمع بطلاموس بالملك واراد خلع برديكاس فلم
 يتسن له ذلك لان الثيبين اعانوه وطردهوا المغنصب ولكي
 يجعلوا خضوع مكدونيه لهم ظاهراً واكيداً اخذوا منه رهائن
 ثلثين شاباً من جملتهم فيلبس اخو الملك واصغروا لادامينتاس

ويلوح ان برديكاس قد نسي احسان الاثنيين اليه فلم
يكثر لمصلحتهم بل جهد في احباط اعمالهم بمدينة امفيبوليس
الخاضعة لهم والقريبة من بلاده فعلم ذلك الاثنيون ووغرت
صدورهم عليه وارادوا الانتقام منه الا انهم صبروا قليلاً لاشغالهم
حينئذ بهام اخرى

ورفض المكدونيون ان ينفدوا الايليريين المجزية التي
فرضها عليهم بردليس حينما خلع امينتاس وملك ارجيوس
فنارت الحرب بين الفريقين ومات بها برديكاس مخلفاً طفلاً
اسمه امينتاس فاصبحت حالة مكدونية تعيسة جداً لانها كانت
مكتنفة بالاحطار من كل جانب وعرضة لهجمات اعدائها
الكثيرين وساحة لنزاع وقتال الامراء الراغبين في الملك .
وارسل اليها الاثنيون اسطولاً ليحاربوها ويذيقوا اهلها الذل
والنكال انتقاماً من اميرها المنوفى وبلغ فيلبس وهو في دار
الغربة موت اخيه والاحطار المحيطة ببلاده فنشط الى اعانتها
وجاء لانقاذها من ذلك البلاء والصيق

الباب الاول

من ابتداء ملك فيلس سنة ٢٥٩ الى حين موت
اسكندر الكبير سنة ٢٢٢ ق م

الفصل الاول

في ملك فيلس

كان عمر فيلس حينما اقدم على اعانة بلاده والانتصار
لابن اخيه ثلثاً وعشرين سنة فهذا الامير وان يكن حدثاً ادرك
اذناك من الحكمة وفصل الخطاب مالا يدركه الرجال
المحنكون وايدى في ساحة القتال من الشجاعة والهمة ما تعجز
عنه الابطال المعدودة لانه عاش بمنزل أبامبونداس السبي
نرماناً طويلاً وصاحبه في نزوات كثيرة فترعرع جباراً عظيماً
وفارساً مغواراً وقد لزم المدارس في تلك الديار واخذ من
اساتذتها البارزين العلوم والآداب وجمال في البلاد اليونانية
ليزداد في فن السياسة والنظام العسكري علماً واخباراً
وصادف في سياحته هذه كثيرين من المشاهير والفلاسفة

كافلاطون واسوقراطس وارسطوطالس فتولدت فيه تلك
المبادئ المحسنة والمقاصد العالية التي اعربت عنها اعماله مدة
ملكه والتي اوصلت مكدونية الى اعلى درجات المجد والفخار

واعلن فيلبس بادى بدء انه اتى ليعين ابن اخيه ويكون
له وصياً وما ذلك سوى عذر يمهده سبيل ارتقاء عرش
المملكة ويستتر اطماعه ومقاصده توصلاً لما يتغنيه لئلا يرجع
بالخيبة والفشل قبل ان يتبض على عنان الاحكام ويصبح
قادراً على كبت حاسده واجراء ما يروم اجراءه وحيث ان
حق الملك على مكدونية لم يكن دائماً بالوراثة الشرعية وكان
الشعب قد بات في ضيق الخناق من حرب الإيلريين وراى
من فيلبس قرماً شجاعاً وحاكماً حكماً اجاب طلبه ورضي به
ملكاً على جميع البلاد والتي اليه مقاليد الامور

اما داء مكدونية وقتئذ فكانوا الايلريين القاطنين في
الجهة الغربية منها والبيونيين الساكنين في الجهة الشمالية
والثراكيين اهل البلاد الشرقية والاثنيين ولم يكن هؤلاء
الاعداء قد تعاهدوا على الاتياع بها واذلاها بل كان كل فريق
منهم قد زحف بجيوشه اما للاغارة عليها وغزوها ولاسعاف احد
الامراء وتمليكه بدلاً من ابن برديكاس القاصر على ان الإيلريين

بعد نصرتهم التي مر ذكرها نهبوا ما امكنهم نهبه ورجعوا الى
وطنهم ظافرين غانمين وقدر فيلبس بفطنته وحسن تدبيره
على صرف اليونانيين والثراكيس لانه غرهم بالوعود ورشا
رؤساءهم فانكفوا الى بلادهم راجعين

وكان الآثيون قد ارسلوا اسطولهم لمحاربة مكدونيه
متظاهرين بالانتصار لارجيوس الذي ملكه برديلس الابلر
حينما خلع امينتاس الثاني كما تقدم المقال فاتوا واخلوا السواحل
وامدوا هذا الامير بفرق من جنودهم فتقدم ارجيوس بجيشه
وحاصر بعض المدن الحصينة وعلم فيلبس بما جرى فجمع فرسانا
وعساكر كافية وزحف لقتاله فنشبت الحرب بين الفريقين
وكانت عوانا واتصرف فيلبس على اعدائه في ذلك النهار وقتل
ارجيوس وعدداً عديداً من جنوده واسر الباقين

ومن عوائد القدماء جميعاً انهم كانوا يعتبرون اسراء
الحرب غنمة فلا يطلقون احداً منهم بلا فداء ومن لم يفده قومه
يصبح عبد من اسره وحالة العبيد في تلك الايام حتى عند
الشعوب الاكثر تمدناً تعيسة جداً الان الشرائع كانت تخول
المولى حق التصرف بعبده كيف يشاء اما فيلبس فظهر في ذلك
الوان شفقة على الاسراء لم ير الناس مثلها قبلاً ولعله فعل ما

فعله عن حكمة وتدير ليستميل شعبه ويفتح باباً للمخابرة اعدائه
 بشأن الصلح وكف العدوان فاتى بالاسراء المكدونيين الذين
 حاربوا ارجيوس ووجههم على صنيعهم وحلفهم ميثاً الا بخونه ثم
 رد عليهم سلاحهم وجعلهم في عداد جنوده واحضر الاسراء
 الاثنين واکرمهم غاية الاكرام ثم اذن لهم بالانصراف الى بلادهم
 فذهبوا وهم يشكرون له ويشنون على فضائله وفضله

وعقب هذا الملك الفطيين معاملته الحسنة للاسراء
 باعلان أمفيبوليس مدينة حرة (لان الاثنين لم يثيروا الحرب
 الا بسببها) وارسل الى اثينا سفراء يسألون مجلسها كيف
 القتال فاحل الاثنيون سفراءه محلاً عالياً واجابوه الى
 ما طلب

ولم يكن الملك المالك على مكدونية ذاسلطة مطلقة ولا
 الشعب المكدوني متمتعاً بالحرية الشامة بل كان كلاهما يعاني
 عرق القربة من الشرفاء وروساء الاقاليم الذين كانوا يفعلون
 ما يرومون بلا معارض او مانع وعلم فيلبس ما وراء تلك الحالة
 الفوضوية من الاخطار للبلاد وما فيهم عنها من انخطاط شان
 الاهلين فسعى لاصلاح هذا الخلل بحكمته الفائقة كاتماً ما نوى
 عمله وجاهداً في ارضاء واستمالة الجميع فنظم لذلك فرقة اعوان

من الفتيان الأشداء الباسلين وأعلى مقامهم ومنهم القابا
 شريفة يمتازون بها عن السوى وكانوا يرافقونه أينما ذهب
 ويتبارون في انفاذ أوامره وإتقان النظام العسكري ونظر أولاد
 الأعيان عظمة هؤلاء الفتيان وتقدمهم فاقبلوا على الانخراط في
 سلكهم غير عالمين أن وجودهم ببلاط الملك يجعلهم بمثابة رهائن
 لا جبار اقرباءهم على الأذعان لأوامره ولقد نبغ من هذه الفرقة
 قواد عظام أعانوا فيلبس وإسكندر على افتتاح المدائن
 والبلدان واقتسموا بينهم بعد موت الأخير ممالك العالم القديم
 قال بعض المؤرخين أن فيلبس قد استنبط ترتيباً جديداً
 لعساكره والصحيح أنه أخذ ذلك عن اليونانيين ولكنه جهد في
 تعزيز قوته فأحضر أسلحة وإفرة وخيولاً كثيرة وألات حربية
 عديدة وعود جنوده القتال بالتمرينات الدائمة وجعلهم يحملون
 العناء والتشف بصبر عظيم

ومات في سنة ٣٥٨ ق م رئيس أوقائد البيونيين فاغار
 عليهم فيلبس بجيوشه وكسرهم ثم ارتد عنهم بعد أن أخذ رهائن
 وفرض على الأهاليين جزية يتقنونها له في كل عام
 ولما كان مشاهير الرجال العاقلون لا يستغفروهم الانتصار
 ولا يبالون بالانتقام بل يتوخون في كل عمل الفائدة كان

فيلبس لا يجري امراً اذا لم يتوسم فيه خيراً له ولبلاده وعليه ففي
 هذا العام حينما رجع من بيونيا عول على محاربة الايلريين
 ورئيسهم بردليس لانتقاماً منهم لكونهم اشد الناس عداوة
 لشعبه ولعائلته ولكنه رأى ضرورة انشاء عمارة بحرية فاراد
 توسيع نطاق مملكته الى سواحل بحر الأدرياتيك واخضاع
 الامم المجاورة ليتسنى له تنفيذ مقاصده العظيمة بلا خوف او
 حرج. فتقدم بعشرة آلاف راجل وستمائة فارس وكان بردليس
 قد نهض بعساكره فالتقى الجيشان وانتشب القتال ويظهر ان
 الايلريين قد ثبتوا في ذلك النهار ثبات الابطال لانهم لم يولوا
 الادبار قبل ان قُتل رئيسهم بردليس الشيخ وسبعة الاف رجل
 فدخل فيلبس بلادهم واخضعها وازاد منها الى مملكته ما
 رأى اضافته لازمة وفرض على الباقيين جزية واخذ رهائن
 وانكف عنهم راجعاً

ولم يرتد فيلبس الى عاصمته بعد هذا الانتصار ليمتع بالراحة
 والسلام بل ليفكر في فتح حروب جديدة يتذرع بها الى مد
 سلطه على البلاد اليونانية واثنا سنين فيما ياتي من الكلام
 كيف انه كان يغير الاسباب ويوع الوسائل لادراك غايته
 الوحيدة والحق. يقال ان هذا الملك الشهير قد نال بفطنته

وتدبيره ما لم ينله احد قبله بالشجاعة والحظ

وفي سنة ٢٥٧ ق م كان يفكر في الاستيلاء على امفيبوليس وهي المدينة التي اعلن استقلالها في ابتداء ملكه ارضاءً للآثينيين الذين استعمروها في القرن السابق وعدوها من احسن املاكهم الخارجية لوقوعها في سهل مخصب جداً وعلى ضفة نهر كبير يصلح لسير السفن وقربها من آجام جبل بانخيوس ومعادنه الذهبية غير ان الأمفيبوليين كانوا عاصين وقتئذ الحكومة الآثينية طمعاً في الاستقلال ولم يقدر الآثينيون على استرجاعها لضعف قوتهم البرية واعتمادهم على جنودهم الغربية فاخفق مسعاهم ولكن لم يخب املمهم من ذلك

ويلوح ان الأمفيبوليين قد ادركوا مقاصد واطماع ملك مكثونية او اوجسوا خوفاً من استعداداته فاتحدوا مع الجمهوريين الأولثينيين وخالوا بهم اموا هذا الاتحاد كل غائله مشرعو يشتمون اعداءهم غير مباشرين اما قبل من واتخذ ذلك ذريعة للتجاهر بالعدوان وهم بالهجوم عليهم وادرك الأولثينيون عظم الخطر المحيط بهم فارسلوا رسلاً الى أثينا سالون اهلها امداداً ويعرضون لهم ضرورة محاربة هذا الملك الجبار الذي ان ظلاً سائراً على هذا المنوال في سبل الافتتاح والفلاح لا يامن احد

من اليونان شره

ومعلوم ان المكدونيين كانوا غير قادرين وقتئذٍ على
محاربة الآثينيين والاولثيين فلو تم ذلك الاتحاد لتقمقروا وذلوا
وكسفت شمس نجاحهم بعيد الاشراق ولكن كيف يتم هذا
الامر وفيلبس واقف بالمرصاد لانه علم حالاً بما جرى فارسل
سفراء الى آثينا ليسترضي رؤساءها ويستميلهم باية وسيلة كانت
فوصل سفراؤه وغرّوا اعيان الآثينيين بالمال والوعود واقنعوهم
ان فيلبس اذا حارب الاولثيين واستولى على امفيبوليس
يرجعها للآثينيين لا محالة ويرضى جزاءً على فعله هذا اخذ بدنا
وهي مدينة قليلة الاهمية بالنسبة الى تلك فاغتروا جميعاً بوعوده
وصدقوا كلامه ورحلوا رسل الاولثيين خائبين

وما يشهد للامير المكدوني بالبراعة وطول الباع في جميع
ضروب السياسة والخداع هو انه لما تم له ما اراده من منع اتحاد
الاولثيين مع الآثينيين بادر الى حل عرى الاتفاق بين الاولين
والامفيبوليين وذلك بطريقة لطيفة سترت مقاصده الخفية عن
اعين رؤساء الاولثيين الذين وثقوا بوعوده ورغبوا في محالفته
املاً بالكسب تاركين الامفيبوليين وشانهم ولكن هيهات! ما
ياملون اذ المنافع القليلة التي يحصلون عليها حالاً لا تولي

الاضرار والخسائر التي ستلحق بهم في المستقبل من هذا الملك
 القادر العظيم ولو فهموا لعرفوا ان الفائدة كل الفائدة في احباط
 اعماله واضعافه قبل ان تقوى شوكته ويمتد سلطانه فيصبح
 اذلاله الذي يرويه الان صعباً مستحيلاً

وزحف بعد ذلك الى امفيبوليس وشدد عليها الحصار
 فاستصرخ الامفيبوليون الاثينيين وارسلوا اليهم سفراء يعلنون
 خضوعهم لهم ويطلبون امداداً فرد الاثينيون السفراء خائبين
 لان فيلبس كتب اليهم كتاباً يبرهن فيه عن صداقته ويجدد
 لهم وعوده وعهوده فحرمت هذا المدينة كل مساعدة خارجية ولم
 يمكنها مقاتلة المكدونيين زماناً طويلاً ففتحت لهم ابوابها
 واستسلمت بلا شروط

ولما كان جل رغائب فيلبس توسيع نطاق مملكته وتكثير
 اهلها لم ياخذ الامفيبوليين بذنبهم بل عفا عنهم جميعاً مكتفياً
 بنفي بعض الرؤساء الثائرين وازاد هذه المدينة الى بلاده
 خلافاً لما وعده الاثينيين الذين لم يستطيعوا قتاله لانها هم في
 الفتن الداخلية وحروبهم الاهلية

كان كوتيس ملك ثراكية قد اعتنق حديثاً الديانة
 اليونانية فاصبحت له شغلاً شاغلاً لانه هام بها وبمحاسن الالهة

حتى توهم ان منيرة إلهة الحكمة تهواه فغادر قاعدة مملكته
 وذهب الى داخل البلاد ليعيش في الآجام حيث مياه الانهار
 تجري متدفقة فوق الحصى واليرمع ويناجي معبودته وان شئت
 فقل ليناجي اوهامه ولكن من درى طباع القدماء وعرف
 اعتقاد بان الالهة تتجسد احياناً لتظهر للناس لا يغرب عليه هذا
 الامر ولا يعدّه عجيباً

هكذا كانت حالة ملك ثراكة حينما اقدم فيلبس على
 افتتاح قسم منها فتقدم المكدونيون الى بعد ثلثين ميلاً من
 أمفيبوليس ووصلوا الى مدينة كرينيدس الواقعة عند سفح جبل
 بانجيوس فاعجبهم منظر تلك الارض وجمالها لانها كانت محاطة
 بالبحر والجبال الشائخة وكانت العيون والجداول تجري فيها
 متسلسلة فتدهش الناظر حتى يخال انها احدى جنان الدنيا
 غير ان فيلبس لم يلتفت الى كل ذلك بل ذهب تَوّاً الى
 مناجم الذهب فطرد البرابرة واخذ في تهئية ما يلزم لاستخراج
 هذا المعدن الثمين ثم ترك جماعة من رجاله ليستوطنوا هناك
 وقفل راجعاً قائل ان كمية الذهب الذي كان المكدونيون
 يخرجونه من هذه المعادن في كل سنة تعدل مائتي الف ليرة
 انكليزية

وكانت بلاد تساليا مرتبكة جداً لسبب انقسام روسائها
فحاربها فيلبس والجأ أهلها ان يقدموا له جزية في كل عام ثم
حالف ملك ايرس وتزوج اولمبياس اخنهُ وكانت اولمبياس
بديعة الحسن والجمال ذات فكر ثاقب وذكاء عظيم فاحبها
فيلبس وطلب الاقتران بها

وفي السنة التالية تعاقبت عليه الممرات لانه انتصر على
الايليرين والبيونيين الذين جاهدوا بالعصيان وحازت خيوله
قصب السبق في ميدان الالعب الألومبية وولدت زوجته
ابناً بشع المبصرون انه يكون عزيزاً سعيداً

وكان فيلبس مهذباً اديباً يعرف فائدة العلم ويحب العلماء
فكتب الى ارسطوطالس حين ولادة ابنه اسكندر ما ياتي : اعلم
انه قد ولد لنا ابن فشكراً للالهة على هذه الهبة التي منننا اياها
في ايام ارسطوطالس فلا ريب انك ستعتني به ليحيا اباه
ويكون اهلاً لان يملك على مكدونية

كان سكان كريساً وهي مدينة واقعة الى الجهة الجنوبية
الغربية من ذلفي^(١) يجبرون الزوار ان يدفعوا لهم مكوساً فغضب

(١) مدينة في بلاد فوكس اسمها الآن كاستري قد اشتهرت جداً في
الازمنة القديمة لسبب هيكل الاله ابولون الذي كان الناس يفصدونه من

عليهم مجلس الأمقطيون^(٢) وحاربهم سنة ٥٩٥ ق م واهلكهم جميعاً وأعلن أن أراضي كريسّا المحصنة مقدسة لا يجوز حرقها وفي أيام الملك فيليس ثارت الحرب الفوكية أو المقدسة^(٣)

كل فج عميق لاستشارته في أمورهم الخطيرة وحرق هذا الهيكل سنة ٤٤٨ ق م فجددوا بناءه وجعلوه أجمل مما كان قبلاً أما الأموال التي كانت بكثرة لأنه ما عدا الفرايين وإهدايا التينة التي يقدمها الزائرون والملوك كان فيه لكل ولاية يونانية خزينة تذهب خربها أموالاً وإشياء تينة وطريقة استشارة الإله كانت بواسطة امرأة تجلس على كرسي بالقرب من مغارة في وسط الهيكل تتصاعد منها أبخرة تسكر من يستنشقها والكلمات التي كانت تنفخ بها المرأة بعد استنشاق تلك الأبخرة وإن تكن غير صريحة كانت الكهنة تكتفيها باعتماد وتحسبها وحياً واجب التاويل ثم نظمتها بيت شعرا وشرطاً وتدفعها إلى السائل وإلّا بخرة المذكورة لا وجود لها الآن في تلك الأنحاء فلا تعلم ماهي ولكنها على كل حال من أباطيل الكهنة المشعوذين

(٢) هو مجلس نواب الولايات اليونانية كان مركزه في ثرموبيلي ومدينة ذلفي وكان لكل مدينة فيه نائبان أحدهما للاعتناء بأمر الذبائح والاحتفالات الدينية والآخر لفضل الخصومات والقضاء وكان اليونانيون يعتبرونه كمجلس عال له الحق بالحكم في المسائل السياسية والعومية

(٣) أننا لا نطيل الكلام عن هذه الحرب لأن الأسباب في هذا الموضوع لا يهمنا بل هو من مباحث توارخ اليونان العامة إنما نذكر طرفاً منه ليمكننا سرد أعمال فيليس وإغنايه المطالع عن مراجعة كتب أخرى

التي امتدّ سعيها الى كل البلاد اليونانية وسببها ان الفوكيين
 حرثوا قسماً من اراضي كريساً المشار اليها فحق مجلس الامفطيون
 وامرهم بدفع غرامة عقاباً لهم على ما جنوه فابوا دفع تلك الغرامة
 وكان ذلك داعياً الى انتشار القتال بينهم وبين الذلفيين
 والثيبين الذين نهضوا لمحاربتهم متظاهرين برغبتهم في
 الانتصار للاله ابولون والصحيح انهم اقدموا على هذا الامر انتقاماً
 من الفوكيين اعدائهم القدماء

واستولى الفوكيون سنة ٢٥٧ ق م على ذلفي واخذوا
 الاموال الموضوعة بهيكلها وانفقوها في سبيل تجهيز جنود كافية
 للقاء اليونانيين ^{ال}لثائرين لنصرة الدين ودامت الحرب مدة
 مديدة ولم يطفئ ناراها سوى الامير المكدونني كما سترى

وحفظ فيلبس بادىء بدء الحيادة في هذه الحرب لانه رام
 مصادقة جميع الاحزاب واغراءهم بالقتال ليضعفهم ويتسنى له
 ادراك ما يتمناه غير ان الاثينيين عرفوا ما وراء سياسته من
 الاخطار لم يفرقوا اعماله وجهدوا في احباط ما حتى انه لما استصرخه
 الذلفيون بادروا الى الاستيلاء على مضيق ثرموبيلي ومنعوا
 جيوشه من العبور

وحالف الاثينيون الفوكيين وسعوا معهم لقتال المكدوننيين

بالبلاد الثراكية اجابة لطلب الاهلين فملكوا خرزونيوس
(الان مدينة كاليبولي) وفتح فيلبس عدة مدائن في ذلك
الاقليم الا انه خسروقتئذ احدى عينيه بحرج اصابه في وجهه
فاصبح اعور وحدثت بعد ذلك حروب كثيرة بينه وبين
الفوكيين كانت تسميتها وبالاً على هولاء

وكان فيلبس طامحاً ببصره الى الاستيلاء على بيزنطيوم
(الان القسطنطينية) فافلق ذلك الآثينيين لان المدينة المذكورة
كانت محط تجارتهم ومهمة جداً لسبب موقعها الحسن وكان
الملك اخذاً في الاستعداد لهذه الحملة ولم يعتنه عنها سوى اسقام
وبيلة اعترته على اثر الجراح التي اصابته في الحرب الاخيرة ففرح
الآثينيون واستبشروا لاسيما حينما بلغهم خبر موته كما اشاع
البعض فاستأنفوا القتال في الحرب المقدسة انتصاراً للفوكيين
ونظر دمستينوس^(١) عظمة مكدونيه وتقدمها وعرف اطماع
ملكها وحيلة فقام بين قومه نذيراً يحذرهم من التواني وبحرهم

(١) هو خطيب الآثينيين الشهير ولد سنة ٢٨٥ ق م ونتم صغيراً
فاختلس اوصياؤه الثلاثة امواله واهملوا تعليمه ونهذية ليشب جاهلاً غير
انه لزم على ما اخبر القدماء الخطيبين ايزيوس وازوكراتس والفيلسوف
افلاطون ولما بلغ السنة الثامنة عشرة من عمره طلب محاسبة اوصيائه وشكا
احدهم المسي افوبس الى الحكومة الآثنية ففرمته بدفع عشرينات ويظهر

على الانتباه الى دسائسه والسعي في احباط اعماله فالتقى لذلك
 خطباً عديدة دعوها الخطب الفلبية ويمكننا القول ان هذا
 الرجل العظيم قد اضر فيلبس ببلاغته اكثر مما لو كان اميراً او
 قائداً وجهز لمحاربته جيشاً عرمرماً جراراً لان صوته كان ينطلق
 فوق رؤوس الجميع كصخب الرعد المصطلق فيهميع في القلوب
 حاسات الوطنية واشجاعة والخطبة الفلبية الاولى القاها سنة
 ٢٥٢ ق م وهذا معاها

ايها الاثنينون قد سئتم حالاً والاطار اصبت محمقة بكم
 من كل جانب فلا تقطنوا من الفلاح واعلموا ان تلك الحالة
 السيئة وهذه الاطار ناجمة عن التواني والاهال فاصلحوا اعمالكم
 تفوزوا بما ترغبون واذا نظرتم الى ضعفكم واقتدار فيلبس عدوكم
 الالد فلا تجزعوا بل ثابروا على الثبات لتسترجعوا املاككم

ان ذمستينوس بشرط بعد هذا الامر الى الخطابة فخطب في الجمهور اول
 مرة ولم يحسن الالتقاء لانه كان الغغ وكان صوته ضعيفاً فجهد في اصلاح هذا
 الخلل وتمكن من ذلك بوضع حصى في فيه وانشاد ابيات وهو يركض على
 شاطئ البحر او يرتقي الروابي والاكام وعاش مدة في مغارة بنسخ مراراً تاريخ
 ثكوديس ليعتاد البلاغة ويقتبس منه احسن اوجه التعبير والمظنون ان
 في هذه الرواية مبالغة ولكن كيف كانت الحال فقصة ذمستينوس تعلمنا
 الصبر ووجوب مزاوله الامور التي يروم ادراكها ولو كانت صعبة

التي حازها المكدونيون أُلستم اتم الذين فتحوا تلك البلاد
 حينما كانت مستقلة وكان اهلها بدافعون بغيرة ونشاط عن
 حريتهم والوطن ولولم يكن فيلبس جسوراً لم يقدم على الحروب
 التي أثارها بشجاعة وحمية ولم يصل ومملكته الى هذه الدرجة
 العليا من العظمة ورفعة الشأن ولكنه علم علم اليقين ان
 المدائن والحصون هي جائزة لمن نال فصب السبق في ميدان
 الفطنة والبسالة وان مال الخامل المتواني هو ملك الشيط
 النبذ فهبوا اليها الاتينيون من رقدة الاهال واقتدوا بفيلبس
 لتسترجعوا ما فقدتموه والزمان دولاب فلا تظاوا الملك الهاء
 لا يتكب ان هو الا انسان خاضع لصروف الدهر واحكام
 التغيير وله اعداء ومبغضون وحاسدون يمتنون سقوطه غير
 اهم لا يستطيعون المجاهرة بالعدوان خوفاً منه فاعضدوهم اذا
 ليعينوكم عليه فالي م هذا الخمول يا بني الوطن وحتى م تصبرون
 العلمكم ترقبون حادثاً او يسعدون لامرهم واي امرهم اناساً
 احراراً اكثر من الذود عن حريتهم وشرهم وان م تنفقون
 الساعات والاقوات بالاجتماعات العمومية لاستعلام الاخبار
 واي خبر غير هذا ان مكدونياً قد استظهر واستولى على بلاد
 اليونان . فيلبس لم يميت ولكنه مريض غير انه اذا مرض او

مات هل تصطحح احوالنا ان لم نشمر عن ساعد الجدد والاقدام
ثم عقب إنذاره هذا بكلام اشار فيه الى خلل الحكومة والجيش
وخفة الشعب الى ان قال :

من الواجب الان ان تجهزوا سفناً كافية وان تستعدوا
انتم للكفاح ولا تشكوا على الجنود الغريبة المستأجرة لانهم
جيش في سجلات الحكومة لا في ساحات الضرب والطعان
وكان لكلام زمستينوس تأثير عظيم في قلوب الاثينيين
لانهم ارسلوا جنوداً الى بلاد ثراكية ليهنوا المكدونيين من
التقدم الى بيزنطيوم ويلوح ان فيلبس لم يرد قتالهم فقفل
راجعاً الى مكدونيه واقام فيها سنتين غارقاً ببحار الملذات والتنعيم
ومشتغلاً بتحسين عاصمته وتزيينها بالابنية الجميلة وكانت
جواسيسه تجول دائماً في المدائن اليونانية لتسعلم الاخبار ورشي
الروساء كي يجازبوا سيدها

وزحف فيلبس سنة ٣٤٩ ق م الى بلاد الجمهورية
الاوشية واستولى على عدة مدائن منها ثم تقدم الى اولثنه ليجاصرها
فرعب الاولثيون وارسلوا اليه رسلاً يستعطفونه فاجابهم انه
يلزم لرجوعي عنكم احد امرين اما خروجكم من اولثنه او خروجي
من مكدونيه ولما راوا انه لا سبيل الى السلم وجهل سفراء الى

اثينا يطلبون امداداً فانتصر لهم ذمستينوس وخطب على قومه
خطاباً انيقاً ففتن الالاب بسحر كلامه واستمال القلوب بمعجزات
بيانه فاذعن له الاثينيون وارسلوا امداداً الى الاولثيين على
رغم بعض الروساء المحازيين فيلبس على ان ذلك الجيش
المرسل لاغاثة المحصورين لم يات بنتائج مهمة لجهل قائده
وطيشه واستصرخ الاولثيون الاثينيين بعد ذلك مرتين وكان
ذومستينوس ينهض في كل مرة ويحث مواطينه على اعانة هولاء
التعساء بعبارات تسجع الحيات وتثير الحمية بالرجل الخامل
الذليل فيجملهم الى مساعدتهم ببعض فرق من الجنود ولكن ما
الفائدة من كل هذا والامير المكدونى له بين اعدائه نصراء
واحزاب استمالهم له من قبل بالدرهم والدينار ففتحت له المدينة
اخيراً ابوابها فدخلها ظافراً ونهبها ثم خربها واستعبد جميع
الاهلين الذين نجوا من القتل بسيف عساكره الابطال

واستتب له الامر بقره هذه الجمهورية القوية وافتتاح
اراضيها الواسعة فامن شرمجاوريه الذين خضعوا له جميعاً ما
عدا سكان قسم ثراكة الشمالي فاخذ يفكر الان في الاستيلاء على
مضيق ثرموبيلي المدعو في الازمنة القديمة ابواب بلاد اليونان
ومحاول تملك الالسيونتوس (بوغاز الدردنل) اما هاتان

الجهتان فكانتا مهمتين جداً لان الاولى كانت كحاجز يمنع من
ولوج الولايات اليونانية والثانية طريق تجارة الاثينيين الذين
كانت سفنهم تسير في تلك البحار لتجلب الحنطة اللازمة لهم من
اراضي القرم (اسمها قديماً توريكاً خرزونزس) والبلاد الواقعة
بالقرب من بونتس اكسينوس (بحر الاسود) على انه علم ما دون
ذلك من الاهوال لان اليونانيين اذا تاكدوا ما نواه لا بد ان
يتألبوا وينضوا يداً واحدة لمحاربتيه فسعى في ستر مقاسده
ببرقع الخديعة والمكر متظاهراً بموادتهم والتزلف منهم ودعاهم
جميعاً الى الولية والاعیاد العظيمة التي عملها في مدينة ديوم فاتوا
جماً غفيراً وبقوا هناك تسعة ايام ثم انصرفوا مسرورين بما نالوه
من الاكرام والاحسان فزاد عدد محازبيه واصدقائه

وبينما كان الداعي والمدعوون آخذين في ارتشاف كؤوس
الصفو والانسراح بمدينة ديوم كانت السفن المكدونية تجول في
البحر وتفتك بسكان الجزائر الخاضعة لاثينا ثم تقدمت الى اراضي
أتيكا بعدما استولت على اسطول اثيني فنهبت ما نهبت وقفلت
راجعة الى مكدونية بالغنيمة والظفر ولا يخفى ان اثينا في تلك
الايام كانت سيدة البحار اليونانية الا ان رفعة الشا تورث
الاحتقار بالسوى ويورث الاحتقار الاهال وما بعد الاهال

غير المحمول ولم يقصد فيلبس بهذه الحملة سوى تفريق كلمة
اليونانيين لانه بينا كان يجارب شعباً منهم كان يجهد في
مصادقة آخر

وكانت الجمهورية الاثينية غير قوية الاركان لحقة الشعب
وكثرة الاحزاب نعم ان الاثنيين كانوا وقتئذ ابرع امم العالم في
المعارف والفنون ولم تزل كتبهم الى الان معجزات لاولي والنهي
ولكن ماذا نفيد علومهم وفطنتهم اذا لم تساعد على اطفاء نار
الانقسام والفتن الاهلية وتمهد لهم سبل الانضمام لمحاربة عدو
قادر محتمل يروم نزع حريتهم والاستيلاء على بلادهم وكان
لفيلبس بينهم نصراء وخلان يحبطون اسماهم ويخبرونه بما يفكرون
وما يجرون

وهاج الاثينيون في ذلك الحين لكلام خطباءهم الصادقين
واخذوا في الاستعداد لقتال المكدونيين واغراء الجمهوريات
الاخر بمحالفتهم والاتصارهم وعلم بذلك فيلبس فشرع يتملقهم
ويظهر لهم رغبته في السلام فرضوا بابرام الصلح وارسلوا اليه سنة
٣٥٧ ق م سفراء ثلث مرار من جملتهم زمستينوس الذي وافق
قومه على هذا الامر لانه قال ان صلحاً رديئاً لاولي من حرب
مشومة ففي المرة الاولى اتى السفراء لمخابرته بشروط السلام وفي

المرّة الثانيه جآءوا للتصديق على اليهود المقترحة وفي المرّة الثالثه وافوا لبروا هل اجرى تلك الموائيق والعهود على ان فيلبس في اثناء ذلك هم على القسم الشمالي من البلاد التراكية واستولى عليه وقاد ملكه اسيراً ثم افتتح مضيق ثرموبيلي ودخل الى بلاد فوكس وخرب اثنتين وعشرين مدينة منها في اقل من اثنين وعشرين يوماً فخفضت له تلك الجمهوريّة الشهيرة في الازمّة القديمة بقوتها وثروتها وكونها مجلس الامقطين ومحل وحي ذلني وكل هذه الاعمال لم تهيج اليونانيين عليه بل لبثوا ساكنين لا يبدون حراكاً

اما السفراء الاثنيون المرسلون الى فيلبس فكانوا غير متفقين في الآراء والاعمال لانهم منذ خروجهم من آثينا اخذوا في النزاع والحجاج قال زمستينوس يصف خبثهم وفساد اخلاقهم ان سعادة فيلبس تمت في انه كان مفتقراً الى رجال خائنين فوجد منهم عدداً عديداً بلغ من الخبث والدناءة اكثر مما كان يامل ولما وصل السفراء الى بلاد عاصمة مكدونيه سمع لهم بالدخول على فيلبس فامثلوا بين يديه وتكلم احدهم اسخينوس وذكر الملك باحسان الاثنيين الى اجداده ولبائيه وكيف انهم انقذوا اولاد امينتاس على يد قائدهم افيكراتس من مخالب

اعدائهم وأبأن اعداء فيلبس عليهم لاسيما في افتتاحه امفيبوليس
لان اباه امينتاس صرح بكونها ملك لاثينا ثم طلب اليه ان
يردها عليهم حسبما يامر العدل والانصاف

ان كلام هذا الخطيب غير مطابق لمقتضى الحال لكونه اتى
ليتوسط الصلح فطلب امرا يجعل الصلح مستحيلا لانه كيف يمكن
امير اقويا يرى السعد خادمة وجيوشه منتصرة في كل مكان
ان يرضى بتخلى مدينة عظيمة لاجل مهادنة قوم ضعفاء تجبرهم
الاحوال على مسالمته وإرضائه

وكان الرسل والملك واعوانه شاخصين الى زمستينوس
آملين انه سيلقي في حضرتهم خطابا انيقا بليغا يفتن الالباب
ويسلب القلوب غير ان ذلك الخطيب المفلت رب الفصاحة
والكلام ذل لدى عدوه فيلبس وتلعثم لابل خرس ولم يستطع
ان ينطق ببنت شفة فكأن هذا الامير الظافر لا يغلب بجميع
ضروب القتال وانواع السلاح او كأن خوفه حل في قلب
خصمه الاثيني فعقد لسانه واجد قريحته وانساه كونه خطيب
اليونانيين الفريد

ولما فرغ الرسل من عرض حاجتهم اجابهم فيلبس على
طلبهم بعبارات منسجمة اعربت عن ذكاء عظيم وحكمة وافرة

ودحض براهينهم بحجج دامغة وكلام لطيف يستميل القلوب
وينفي الغضب ضارباً صفحاً عن نخل زمستينوس ومظهراً للعالم
ان الرجل الذي طعن فيه بحدة وجسارة في محافل اليونان
لم يستطع ان يلفظ كلمة واحدة امامه ثم صرفهم بعد ان اعطاهم
كتاباً الى الشعب الاثيني واكد لهم امياله السلمية وانه يجب
محالفتهم ان ارادوا ولا يزال في سائر الاحوال يعد اكرامهم واجباً
فذهب السفراء مسرورين وبلغوا الاثينين نتيجة اعمالهم وحشودهم
جميعهم ما عدا زمستينوس على مخالفة ملك مكيدونية

وفي اثناء ذلك استصرخه الثيبون الذين زهقت انفسهم
من حرب الفوكيين او الحرب المقدسة فبادر الى اعانتهم واخضع
البلاد بمدة اثنين وعشرين يوماً كما تقدم المقاتل واعداً الاهلين
انه ينتصر لهم اذا اتقادوا له لدى مجلس نواب اليرمان فانتروا
بوعده واستسلموا له طائعين ولم يكن حاضراً في الامقطيون
غير نواب الامم المجاهرة لهم بالعدوان فاندروا سرافقده
اخراجهم من الاتحاد اليوناني وحرهم حق ارسال نواب الى
الامقطيون ووجوب بيع سلاحهم وخيلهم واهداً ثمنها للاله
ابولون وانه يمكنهم حرث ارضهم وزرعها ولكن يجب عليهم نادية
ستين زنة ذهباً في كل سنة حتى يعوضوا الاله عما سلبوه وان

مدائنهم تدك حصونها واسوارها ومنازلها كي لا يبقى في البلاد
سوى قرى ودساكروحيث ان الكورثيين قد اسعفهم بحرمون
حق رئاسة الالعب البيثنية ويعطى هذا الامتياز لفيلبس ويزاد
حق ارسال نواب الى مجلس عموم الامة العالي

هذا هو القرار الوحشي الذي اصدره مجلس الامفقطيون
ودفعه الى فيلبس ليتولى اجراءه ولما علم به الفوكيون رجفت
قلوبهم وخارت قواهم فما كنت ترى سوى شيخ عاجز يكي ايامه
الماضية وام حزينه تندب سوء حظ بنيتها وتتوجع لبلاياهم
المستقبله واحداث لم يعرفوا بعد لذة العيش ما هي اسفين
شاكين وما ينفعهم الاسف والشكوى وهل يزيل الحزن مصيبة
او يخفف بلوى تلك المناظر التي تفتت الاكباد وان كانت جماداً
لم تؤثر بالامير المكدونى بل جد في انفاذ امر المجلس وخرب بلاد
عامرة آهلة وبقيت هذه المدائن العظيمة بعد هدمها زماناً طويلاً
كاثر تدل على ظلم الظالمين فيقف لديها المسافر الغريب
وحاسات الاسانبيه تهيج له البكاء لانه يشعر بعظم الرزايا التي
فاجأت الاهلين واجائتهم الى هذه الحالة التعيسة

وبلغ الاثنيين هذه الاخبار فرعبوا وخشوا حدثان
الدهر واخذوا في تمصين الحصون وتجهيز الجنود وامروا سكان

ضواحي المدينة ان يدخلوها لان الحرب على الابواب وعلم
 فيليس باستعداد الآثينيين وحوهم فكتب اليهم يخبرهم بمعاملته
 للفوكيين وانه بلغه امر استعدادهم لقتاله وينصح لهم ان يرجعوا
 عما عولوا عليه والا يندمون ولات ساعة مندم

وطار خبر نصرات وحكمة فيليس في الآفاق فارسل اليه
 ملك الفرس رسلاً ليتجسسوا بلاده متظاهرين بانهم يرغبون في
 مصادقته وعقد عهد محالفه معه فواجه هؤلاء السفراء اسكندر
 لان ابيه كان غائباً فذهلوا من فطنته مع انه لم يتجاوز وقتئذ
 السنة الثانية عشرة من عمره ويلوح انه كان من صغره ميالاً
 لاستجلاء غوامض الامور واستطلاع اخبار الغرباء واحوالهم
 لعله يصادف فيها حكمة او فائدة فاستخبر الرسل عن الحكومة
 الفارسية وكيفية قتالهم وعن طباع ملكهم وروسائهم وسألهم
 سوالات اخرى كثيرة تدلنا على نوايا فيليس ومقاصده العظيمة
 التي كان يحدث ابنه بها فمحبوا من دكائه وقالوا له ان ملكنا
 قادرٌ وغني ولكنك ستكون ملكاً حكيماً وشهيراً

وكان السبرطيون جاهدين في استرجاع بلاد مسينيا
 وارغوس واركايا التي كانت خاضعة لهم قبلاً واتقد كادوا
 ينالون ما يرغبون لولا اعداؤهم الشبيون الذين أثاروا روح

الحماية في الاهلين وطلبوا الى الملك المكدوني ان يتناش هؤلاء
 الاقوام الضعفاء من مخالف مجاورهم فتلقى فيلبس هذا الطلب
 بالبشاشة والقبول ولكي يستراحماله ببرقع العدل والانسانية
 جعل مجلس الامفطيون يصدر قراراً يساله فيه محاربة
 الاسبرطيين ومنعهم عن الاعتداء فجهز الجنود اللازمة وهم بالهجوم
 عليهم

وعلم اليونانيون بمآذير فيلبس وما نوى فتجدد خوفهم منه
 واخذوا يوطنون النفس لرزايا الحرب وحادثات الزمان اما
 الكورثيون فكأنهم تذكروا ما اناهم فيلبس من المساوئ فعمدوا
 ان يمنعوه الدخول الى سبرطة وشرعوا في تحمل السلاح وتقوية
 الحصون واستاجروا عساكر شرييه واقبلوا هم ايضا يتجددون
 فاجت المدة بالابطال والفرسان وكان هذا الاستعداد شغلاً
 شاغلاً للجميع. حتى ان ديوجنس^(١) الذي كان دابة السخر من

(١) هو زعيم الملاسفة الكليبيس قيل انه عمل في حادثته نقوداً زائفة
 ولما اشتهر امره فرّ هارباً الى آثينا خوفاً من القصاص الشديد الذي يلحق
 مقترفي هذا الذنب ولما التقى العصا قد انتيتينس ليقرأ عليه الفلسفة فرفض
 هذا الفيلسوف ان يقبله لانه كان آلى على نفسه ان لا يعلم احداً أما ديوجنس
 فتغلب عليه بشاته وذلك ان انتيتينس تهدده بالعصا ان لم يبادر الى
 الخروج من منزله فاجأه مطاًطاً راسه الا اضرب ولكن اعلم انك طالما

الناس طفق يدحرج برميته بسرعة واهتمام ليظهر للكورثيين
المختشين جنونهم في اقدامهم على مقاتلة فيلبس النشط

وتبارى المكدونيون وحلفاؤهم والسبرطيون ومن حازبهم
في مصادقة الاثنيين لان الاولين قصدوا بذلك منع اتحاد
عمومي والآخرين خشوا قوة فيلبس وبطشه فارادوا التزلف من
منازعهم القداماء في السيادة والفخار ليتعاضدوا ويهروا عدو
استقلال وحرية اليونان وكان لفيلبس بين الاثنيين كما تقدم

تتكلم لست أبالي بضرب العصي فقبله الفيلسوف نلهيذا ومن ذلك الحين
انتدأ يعيش عيشة بسيطة جدا كما يليق بحالة منفي تعيش نظيره وكان
بجمل جرابا يضع فيه طعامه اذ لم يكن له محل مخصوص يأوي اليه لياكل
او ينام او يدرس بل كان يريض في كل مكان يراه لذلك كان يقول ان
الاثنيين بنوا لي قصرا عظيما لا كل فيه مشيرا بهذا الكلام الى بناية هيكل
جوبتير وكتب الى احد اصدقائه يسأله ان يكتري له دارا يسكنها ولما
نظر صديقه غير مهتم كثيرا بطلبه سكن في رميل وقد اخبر ذلك هو نفسه
في رسائله ولكي يقدر على احتمال الحر والبرد كان ينقلب في الصيف على
الرمال المحرقة وفي الشتاء كان يضم بين ذراعيه تماثيل مغطاة بالثلوج ومع
كل هذا كان شديد السحر من الناس وهازنا قارصا

وقد حكى عنه الرواة ملحا كثيرة نورد بعضها فكاهة للقراء قالوا انه
نظر ذات يوم افلاطون في وليمة فاخرة لا ياكل الا زيتونا فقال له اني لك
هذا ايها الفيلسوف العظيم الست انت الذي قصد من قبل جزيرة سيسيليا
لياكل فيها الماء كل اللذينة فلماذا تعف الان عما كنت تشتهيه اجابة افلاطون

المقال نصراء وخلان جهدوا في استمالة الجمهور اليه بخطبهم
الفصيحة وبناراتهم البليغة فنهض ذمستينوس الفاضل من
لا يثنيه مالٌ أو خوف عن حب الوطن وخيره وتكلم قائلاً
أيها الآثينيون انكم لاريب تشكرون همة وفضل الذين يظهرون
لكم جلياً اسداء فيلبس واجتهاده بنزع السلام غير انه لما كنا
لا نقرن القول بالفعل كان كلامنا بهذا الصدد عبثاً ومضراً
ولو كانت الخطابة والبراهين كافية لتقهر الابطال واذلال
شهدت الآلهة ان هناك وهناك لم يكن افنات الآزيتونا واثاراً اخرى نظيره
قال له ديوجينس على الفور لماذا ذهبت الى هناك لعل الزيتون كان
معدوماً في بلادك

وادم افلاطون ذات يوم بعض اصدقاء ديس الظالم وكان وقتئذ
ديوجينس عنده فنظر سطاً مفروشة فاخذ يدوسها ويقول اني ادوس رجلي
كرباء افلاطون اجابه افلاطون لانت اعظم مني خيلاً وكذا أظن انك
تفعل ما انت فاعله لأكبرياء

وطلب الى افلاطون ان يرسل اليه قليلاً من الخمر والتين فبعث اليه
افلاطون دنأ مملواً ولما لقيه بعد ذلك قال له اظن انك لو سئلت كم اثنان
واثنان لاجبت عشرون فلا جرم ان جوابك على ما نسأل يكون بنسبة
نوالك الى ما يطلب اليك وقد اشار بذلك ايضاً الى خلقه لانه كان
مذاراً عظيماً

واحضره رجل الى بيته وسأله ألا يبصق لئلا يعطل شيئاً اذ البيت
كان غابة في النظافة والجمال اما ديوجينس فلم يفه ببنت شفة بل صبر قليلاً

الطبعين لاستظهرنا على عدونا من زمان مديد فكما اننا لانجاري
في ميدان البلاغة والانشاء نراه لا يغلب في مضمار الاقدام
وساحات القتال اني اذا تغفلون عن الحقيقة يابني الوطن
وكيف تعاملون عن اطماع فيلبس الظاهرة ولطالما نهتمكم الى
ذلك وحرصتكم على حث مطايا الجدد والاهتمام فاعرضتم عني
ازوراراً واغتررتكم بوعوده الكاذبة ثم اندفق يذكركم اعمالهم الماضية

ونفل في وجهه وقال له اعذرني لاني لم اجد مكاناً اوسخ من هذا
ونظر ولدًا يشرب الماء بكنفه فطرح طاسه وقال ان هذا الولد اعقل مني
ورمي ملعقته لانه نظر غلاماً يأكل مرق العدس بكسرة خبز مقعرة
واراد بعضهم في ولية ان يسخر منه فطرح له عظماً كما يطرح للكلاب
فنهض عن المائدة واخذ يبول عليهم ككلب

سئل مرة من اشقى الناس قال شيخ فقير ومن اردى الوحوش قال غمام
بين المتوحشين وملق بين المتمدنين وكان يدعو التليق شرك غسل والبطن
هاوية الحية وبينما كان مسافراً الى اغينا اسره قرصان البحر وعرضوه للبيع
في كريت فاشتراه رجل كورنشي وجاء به الى كورنثوث فاقام بمنزله الى ان
مات سنة ٢٢٣ ق م وله من العمر تسعون سنة

قيل انه لما كان على فراش الموت سأل له كرنيداس سيده كيف يجب
ان يدفن اجابه اجعلوه وجهي الى اسفل لان السافل لا يد ان يصبح عالياً عن
قريب وقد عني بذلك عن نجاح المكدونيين الذين حازوا سلطاناً عظيماً
وارفقوا الى ذرى الجدد بعد ما كانوا ضعفاءً محقرين وله نوادر اخرى كثيرة
جداً لا محل لاستيفائها هنا

وفعال الامير المكدوني ميئاً الاخطار والمضار التي نجمت وتجم
 عنها ومستتجاً وجوب مساعدة السبرطين ومخالفتهم
 وبينما كان فيلبس يشغل الآثنيين بالمخابرات وهم يستغلون
 بالخطب والمذاكرات هجمت جنوده سنة ٢٤٤ ق م على سبرطة
 وافتتحت احدى مدائنها العظيمة واتفق في ذلك الحين ظهور
 نيازك في الجوف فرعب السبرطيون واشفقوا على انفسهم من
 حدثان الدهر وكان الخوف لذلك عاماً حتى انه سئل شاب لم
 يجمع تلك المصائب أأست تخاف من فيلبس اجاب ولماذا
 اخافه لعله يستطيع منعي ان اموت فداء الوطن . هذه هي
 آثار شهامة وبسالة سكان لكدمونية القدماء لابل هي شرارة
 ظهرت من خلال الرماد لتبين قوة نار حمية اولئك الاقوام
 الذين راوا عدم استطاعتهم محاربة الامير المكدوني فارسلوا
 اليه اجيس ابن ملكهم ليساله ابرام الصلح وكف العدوان
 فتخبرافي ذلك واتفقا على شروط منها اعلان ارغوس ومسينيا
 واركا ديا مستقلة وتحت حمايته ثم انكف راجعاً الى بلاده ومراً
 بكرشوس حيث اقام به عدة ايام ولما كان الكورثيون يبغيضونه
 لاسباب ذكرناها اهانوه علناً فاحتمل فيلبس كل ذلك بصبر
 عظيم ولما طلب اليه اعوانه معاقبة هولاء السفهاء اجابهم اذا

كان الناس يقابلون الاحسان بالاهانة فاذا يكون جزائي منهم
اذا عاملتهم بصرامة

وجد ديفيلس اعنداءه على الاثينيين فهاجوا لكلام
خطيبهم زمستينوس وارسلوا اسطولا قوياهاجم السفن
المكدونية وقبض عليها وتقدم الى تسالية ونهب ما نهبه ثم نزل
منه جيش زحف الى اكارنانيا ليمنع غارات فيلبس ونسيبه
اسكندر ملك ابيروس وتفرقت سفراء الاثينيين في سبرطة
وغيرها لتهدئ الاهلين وتحملهم على الاتحاد لمقاتلة امير بربريه
يريد استعباد اليونانيين

ولم يكن فيلبس غافلاً من كل ذلك بل خال استطاعة
افتتاح بزنتيوم ومدن البوسفور فزحف الى تلك الانحاء
بحيسته وبلغ هذا الخبر اوحس ملك الفرس فقلق جداً وارسل
رسلاً يثيرون اليونان ويستميلون روساءهم بالدرهم والدينار
ولما كان زمستينوس عدو المكدونيين الالد كان حينئذ اقرب
الاس مودة لسفراء الفرس فواظمهم على ما يرومون واخذ
يشجع قومه ويحرضهم على الجحد والاهتمام فرنت صدور المحافل
بكلماته الدرية وخطبه البالغة في الفصاحة حد الإعجاز
وكان فيلبس قد استولى من مدة على جزيرتي ايبيا

(الان نكرويون) وسام اهلها خسفًا لكثرة احزابهم وفتنهم فانفول
منه وصم بعضهم على العصيان وارسل رسلاً الى الولايات
اليونانية يطلبون إمداداً فلم يعنهم الاّ الاثينيون الذين اقنعهم
دمستينوس ان يتصرفوا لهؤلاء النعساء فبعثوا اليهم بفرقة من
الجنود وذهب هذا الخطيب الشهير الى الجزيرة المذكورة وكان
يجول في المدائن ويخطب بالاجتماعات والمحافل فهاج لكلامه
الاهلون ونهضوا يداً واحدةً لمحاربة المكدونيين فطردوهم من
الجزيرة ولما رجع دمستينوس الى اثينا استقبله الجمهور بالترحاب
والاكرام وكلله باكليل ذهبي وكان ذلك علناً بحضرة الوطنيين
والغرباء

ولم يستطع فيلبس اقتناح بيترنطيوم فارتد الى مدينة برثوس
(الان اسكي اركلي بالقرب من بحر مرمرا) وحاصرها اما موقع
هذه المدينة فحصين وجميل جداً لبنائها على منحدر رابية وكانت
لذلك منازلها وشوارعها كدرجات سلم بعضها فوق بعض فبنى
المكدونيون ابراجا عالية واخذوا في ثقب السور بالكباش
والآلات الحربية المعروفة وقتئذٍ وكانت الابراج ترمي المحصورين
بالسهام والحراش فبرجعوا الى الورا ولما نزع السور هم المحاصرون
لدخلوا المدينة لانهم عادوا خائشين لان البرتبيين بنوا من

داخل سوراً آخر واستعدوا للقتال . وارسل اليهم بعد ذلك
البرزطيون قوتاً وسلاحاً وامدهم الفرس بعساكر مستاجرة فشبّعوا
وصمّوا على الحرب والدفاع

كل هذا جارٍ واليونانيون كأنهم جاهلون بالحوادث او
عن الاخطار لاهون أما زمستينوس فكان منتصباً يرقب اعمال
المكدوني ويرى جلياً خلال ديجور المستقبل ما ستلده الليالي
من العاديات فنبه قومه الى ضرورة الكرو الكفاح انتصاراً للمدائن
شراكة مبرهنًا ان لهم في ذلك فائدة وخيراً ومشبهًا بحروب فيلبس
واعنداءه بويّا يطرأ على البلاد بكون الجميع لديه سواء وعرضه
للاستقام الويلة فعلى الصحيح اذ ذاك ان يعين المريض ويسعى
في تلافي الخطب ما امكن فرضي الاثينيون بمخالفة المدن التي
كان المكدونيون يحاصرونها وذهب زمستينوس الى برزطيوم
لينشط الاهلين

وكان فيلبس لا يألو جهداً في مداهنه الاثينيين واظهار
الصداقة الصادقة لهم ليغرم بعوده الكاذبة ومحجب عن ابصارهم
خبئته وفعالة وحدث ان أمير المراكب المكدونية قبس على
سفن اثينية كانت جالبة حنطة لمدينة سامبر ، التي كان فيلبس
يحاصرها فانكر ذلك الاثينيون وادعوا انها مملوكة لجزيه لموس

وارسلوا سفراء الى الملك يطلبون ردها عليهم فاجابهم فيلبس
الى ما طلبوه وخلي سبيل السفن وبعث اليهم بكتاب يقول
فيه

من فيلبس ملك مكدونية الى مجلس وشعب اثينا سلام
قد وصل اليّ سفراءكم الثلاثة وخبروني بشأن السفن التي
قبضت عليها واني لا عجب من خفتهم واملمهم في اقناعي ان تلك
السفن لم ترسل الى سلمبريا بل الى جزير لمنوس ذلك لا ريب
من اعمال بعض روسائكم الذين يودون قتالي باية وسيلة كانت
ويزعمون ان لهم في هذا الامر منفعة وخيراً ولقد اجبتكم الى ما
طلبتموه وآمل انكم تتجهون الى خبت بعض القابضين على زمام
الاحكام وتعزلونهم عن مناصبهم ليستصر العدل ويخزي الطغام
الفاجرون

واتخذ نصراء فيلبس ما جرى ذريعة لاطراء هذا الامير
والاطناب في مدح فضائله فمض ذمستينوس واخرسهم بصيب
حججه الدامغة وأثار بقومهم الحمية فارسلوا مائة وعشرين سفينة
حربية لاعانة مدن ثراكة غير ان امير تلك المراكب كان ضعيفاً
وقليل التدبير فلم يستطع مقاتلة السفن المكدونية بل انكسر
عند خلكدون (الان قاضي كوي احدى قرى القسطنطينية) وآب

بالذل والعار

وتقدم فيلبس المحاصرة بزنطيم وكانت هذه المدينة حصينة جداً لان الجريكتنفها من ثلاث جهات وكان لها من جهة البر سور منيع وخندق عميق وابراج عالية عديدة فلم يبال البزنطيون بحموش المكدونيين وظلّوا في منازلهم آمين ولما كانت ليلة شديدة العواصف وحالكة الاديم زحفت فرقة من جنود الملك لتسور الاسوار تحت جناح ذلك الليل الدامس فاتبعت الكلاب التي في الحصون واخذت تنبح نباحاً قوياً فاجتمعت الحراس وبعض العساكر ودحرت الاعداء بعد ان كادوا يفوزون بالمني

ودخلت ابوسفورس وقتئذ عمارة اثينية معقود لواءها للقائد فوكيون الشجاع الحكيم فاستقبله البزنطيون بالاكرام والترحاب واحلوه محلاً عالياً وحارب فوكيون المكدونيين وكسره في وقعات كثيرة ولما خاب امل فيلبس من النجاح رفع الحصار وترك الاثينيين يستولون على سواحل بحر مرمر الشمالية ثم غادر فوكيون بزنطيم وتقدم الى خرز ونزس وقبض على عدة سفن كانت حاملة قوتاً وسلاحاً للاعداء ولما وصل اليها استرجع المدائن التي افتتحها فيلبس وعامل سكانها بالرفق

والاحسان ولم يرحل من تلك البلاد الا بعد ان عمل اعمالاً
 رفعت شان الاثنينين والقت الرعب في قلوب الجميع
 الفضل يعرفه الكرام العاقلون الاولى يقابلون الاحسان
 اليهم بالثناء فلا يزالون للمحسن شاكرين ولاعماله المحسنة
 ذاكرين ايذاناً بصداقتهم الصادقة وتنشيطاً لرافعي لواء
 الانسانية السارين في سبيل الفضيلة والكمال . ذلك ما فعله
 روءساء البيزنطيين والبرثنيين اظهاراً لما يجالج ضميرهم من
 حاسات الشكر للاثنين الذين اتناشوهم من مخالف فيلبس
 ولم يرحل الامبر المكدوني عن هذه المدائن كعاجز عن
 مداومة الحرب او كانسان راي صعوبة الفجاح فارتد بالخبية
 والقتل ولكن حوادث عرضت له فاثرت تقديم الالم على المهم
 لينجوا من الرزايا التي اوشك الفرس والاثنين وغيرهم ان
 يرموه بها حسداً له على فوزه او خوفاً من اطاعه وامتداد سلطته
 في تلك الاقطار وذلك ان امير قبيلة سكيتية (سلافية) ساكنة
 في الاراضي الواقعة وراء ثراكة ومانريا (الان بلغاريا) بين
 بحر الاسود ونهر الدانوب استصرخه لاعتنه على كبح جماح قبيلة
 مجاورة له معلناً ان مملكته تضاف الى مكدونيه بعد موته فارسل
 اليه فيلبس فرقاً من جنوده آملاً ان يستولي على بلاده غنمة

باردة وانتق انه قبل وصول العساكر المكدونية استظهر ذلك
الامير السكتي على اعدائه لموت قائدهم فطردهم من دياره
واستتب له الامر وامن كل غائلة ولما كان اولئك البرابرة
لا يعرفون الصدق ما هو وكان دابهم الخيانة والغدر لم يحفلوا
بالمكدونيين بل احقرهم وابوا ان يتقدموا الاجرة التي فرضوها
قبلاً منكبين انهم بعثوا الى ملكهم سفراء يستنصرونه وقائلين
انهم قادرون على حماية وطنهم في كل آن فما كلام فيلبس
سوى مكروهذيان وكيف يصح في الافهام ان يرث مملكتهم امير
غريب وملكهم ولي عهد عاقل ونشيط قد توفرت فيه كل
الصفات اللازمة لتولي هذا المنصب الخطير

وبلغ فيلبس ما جرى فرحل حالاً عن المدائن الثراكية كما
ذكرنا واسرع الى بلاد سكتيا ليوقع بامير اراد غشه والسخر منه
على انه رام النظار بالسلم ليخدع عدوه وينال منه بغير عناء
فارسل بخبر السكتيين انه اتى لينصب تمثالاً نحاسياً لاركيلس
على ضفة الدانوب وعلم الامير السكتي ما وراء ذلك من الخبث
والدهاء فارسل يقول له ابعث اليّ بتمثالك لانصبه في المكان
الذي تريده فغضب فيلبس واخذ يحرق الآجام وبخرب الحقول
وينهب المواشي قاسماً جنوده الى فرق عديدة لتتفرق في جميع

الانحاء وتفتك بمن يعصي لها أمراً فخاربت اولئك الاقوام
الرحل وعادت بالاسلاب والغنائم ولم يرجع الملك المكدوني من
تلك الارزاء الا بعد ان فرض على شعبها جزية يدفعها في
كل عام

واعترضه في طريقه الترياليون وهم قوم اشداء يسكنون
بالقرب من نهر الدانوب وكانوا كامينين له في الشعاب وشقوق
الصخور فانقضوا على جنوده انتقاض الصواعق وفتكوا بهم
فتكاً ذريعاً اما فيلبس فكان يحول بين الصفوف كالاسد
الربال ينشط هذا بكلامه ويشجع ذاك بفعاله حتى اصابته ضربة
اوقعت الفرس والفراس على الارض فابتدرا به اسكندر الى
حماته فدفع الاعداء ومكن اعوانه من ثقله الى السرداق وما
زال هذا الفتى الشجاع قائماً في ساحة القتال حتى انكسر
الترياليون وولوا هاربين وكانت الجراح التي اصابته فيلبس
في ساقه بليغة جداً فاصبح اعرج بجمع باقي ايام حياته ولما عاد
الى ثراكة لقي الرسل الذين ارسلهم اليه مجلس الامفطيون ليعلموه
بافاسه قائداً عاماً لجيوش المجلس المذكور ولجوا عليه بالمبادرة
حالاً الى اعانتهم . وقبل بسط الكلام على هذه الحرب الجديدة
نذكر للقارئ الاسباب الداعية اليها ليكون على بصيرة ويدرك

سياسة المكذوبي وحكمته الفاتكة

طالما جهد فيليس منذ تبوأ عرش مكذونية ان يحالف
 الاثنيين ويغرم بوعوده وعهوده الكاذبة راشياً روساءهم
 الاولى جعلتهم الاطماع سييد النصار فانقادوا له طائعين
 يتبارون في انفاذ اوامره ويتفاخرون في اعلاء منار سلطته غير
 جاهلين ما دون ذلك من الاخطار لوطنهم ومصالحه وحرية
 اليونانيين كافة ولكن الطمع سلطان عظيم يعمي بصائر ابصار
 الادنياء الطغام فيخضعون له صاغرين ناسين واجباتهم المقدسة
 لاخوانهم بني الاوطان اذهبيات ان يدركوا انهم اذا خانوا الوطن
 خانوا انفسهم واذا مهدوا سبل استعباد مواطنيهم كانوا هم اول
 المستعبدين والى باملون فوزاً واعتباراً حقيقياً من امير غريب
 يصبح بعد نيل بغيته اعظم الناس احتقاراً لهم لانه اعلمهم بسجاياهم
 وافعالهم القبيحة وقد اتنا فيما مضى كيف ان زمستينوس الوطني
 الغيور كان ينهض ليضرم بكلامه المبلغ نار الحمية ومحبه الحرية
 في صدور الحضور ويظهر لهم بفكره الثاقب ما ستلده الليالي من
 البلايا والشور كأن المستقبل حاضر لديه او كأنه استطاع
 ان يمزق باسياف قطته وذكاه حجب خداع فيليس الساتر
 مقاصده عن اعين الباقيين فندران يسعر جذوة الشجاعة التي

كادت تنطفئ ويحمل مواطنيه على رغم الخطباء والروساء
 الغادرين ان يجهزوا الجنود وينوا السفن لمباربة المكدونيين
 ولما نال ما يبتغيه مضى الى الولايات اليونانية الاخرى ليخطب
 ويغري سكانها بقتال فيلبس ومساعدة الاثينيين

ولم يكن فيلبس غافلاً عما جرى ولكنما للضرورة احكام
 اذا الحكيم من اقام يتربص نهز الفلاح باحثاً بمجد واهتمام عن
 الصعوبات والعقبات التي تقف في طريق النجاح فادرك ذلك
 الامير الفطين ما دون قتال الاثينيين من الاهوال لانه ان
 حاربهم بحرًا لقي سفنهم العظيمة التي تفوق مراكبه عدداً وعدداً
 وان اتاهم برًا وجب عليه ان يمر في اراضي الثيبين والتساليين
 الذين من الممكن ان ينتهبوا الى اطاعه فيعادونه ويسعون في
 احباط اعماله

وكان في آثينا خطيب اسمه ائتيفون جهور فصيح ولكنه
 مهذار فطرده الاثينيون من المدينة لاسباب سياسية فذهب الى
 فيلبس وطلب اليه قبوله خادماً له يسعى في انفاذ اوامره ولا
 يشني عن مة اصدده ولو تخرج كاس الحمام فقبله فيلبس بالبشاشة
 والترحاب واحله محلاً عالياً

ولما كان الاثينيون آخذين وقتئذ في بناء مراكب عديدة

اتفق فيلبس وانتفون على حرق معمل السفن في بيرياس مرفأ
آثينا فولج انتيفون المدينة متنكراً وشرع في انفاذ ما نواه ولقد
كاد يظفر بالوطر لولا ذمستينوس الخطيب النشيط الذي
علم به فاسرع الى بيرياس والتقى القبض عليه وبعد مذاكرات
ولجاج حكم عليه المجلس بالموت جزاء له على خيانتة وفعله القبيح
وحدث بعد ذلك ان الآثينيين ارادوا ارسال نواب الى
الامقطيون فبعثوا اسخينس الخطيب وثلاثة آخرين كلهم نصراء
فيلبس ومحازبوه وكان المجلس مشغولاً وقتئذ في اصلاح هيكل
ذلفي وجمع هدايا وتماثيل من بلاد اليونان لارجاع ما سلبه
الفوكيون في الحرب المقدسة وارسل الآثينيون هدايا فاخره
جداً من جملتها محبان كتب عليها ما ياتي: أخذت من الماديين
والثيبين حينما نهضوا لقتال اليونان ووضعت تلك الهدايا في
الهيكل قبل الاوان المعين فاغضب هذا الامر اعضاء المجلس
لاسما الثيبين لانهم راوا فيه اهانة لهم وعاراً فقام اسخينس في
ذلك النادي وتظاهر بالغضب والتقى خطاباً انيقاً دحس فيه
حجج الاعداء وبراً قومته فاعترضه رجل لوكري من امفيسا وهي
مدينة على بعد ثمانية اميال من ذلفي قد اغدى اهلها على الاله
ابولون وزرعوا سهلاً سيراً الذي حرم حرثه على البشر وكان

ذلك اللوكري يتكلم بحجة ويطعن على الآثينيين قائلاً انهم قوم طعام لايعبأون بالدين ولا يبالون بفرائضه والدليل انهم انتصروا للفوكيين الاشرار وسعوا في اضرار خدام الاله ابولون واتلاف اراضي هيكليه والاموال الموضوعة فيه الى ان قال من الواجب عليكم ايها الاعضاء الاتسمحوا بذكر اسم الآثينيين اللثام في هذا المحفل المحافل

اما ما كان من استخينوس فانه نهض على اقدام واخذ يثني على الآثينيين ويبرئهم من التهم ويطعن في الامفيسييين ويظهر انماهم الكفرية للحضور لاسيما زرعهم سهل سيراً خلافاً لما حكم به الامفطييون فهاج الاعضاء جداً وامروا بتخريب ذلك السهل وحرق زرعه فاثار هذا الامر فتنة كبرى ونشبت من جرائه الحرب المقدسة الثالثة ومعلوم ان النائب الآثيني واللوكري لم يتكلموا ما تكلموا هذه الغاية فكانا متفقين باطناً متعاديين ظاهراً ارضاء لفيلبس مولاها الذي كان يود صرف انظار اليونانيين عن اطاعه واشغالهم بفتن اهلية اوفتح باب جديد يتذرع به لنيل ما هو ساع لنيله ولما كان قائد جيوش الامفطييون من نصراء الملك المكدوني لم يياشر الحرب بهمة ونشاط بل تقهقر عمداً ليعظم الخطر ويهد سبل تداخل سيده

في اعمال اليونان فتم له ما رجاه ودعي فيلبس الى اعانة المجلس
كما تقدم المقال

وكان الاثينيون على رغم اسخينوس واصحابه جاهدين في اذلال
فيلبس واحباط اعماله بكل مكان وكانت اساطيلهم واقفة له
بالمرصاد لتمنعه من الاجياز الى ارض امفيسا ساحة القتال
فادعى انه راجع الى ثراكة وارسل رسائل الى مكدونيه يخبر
بلاطه بما نوى وحدث ان الاثينيين قبضوا على السفينة الحاملة
تلك الكتابات فقرأوها وانكفوا راجعين لظنهم انها صادقة
تعرب عن مقاصد المكدوني الحقيقية

وحينما انصرفت سفن الاثينيين ركب فيلبس البحر حالاً
ودخل ارض ذلفي آمناً سالماً وارسل مناشير الى الولايات
اليونانية يدعو اهلها لنصرة الامقطيون فلم يجبه الى ما طلب
سوى التبيين الذين بعثوا اليه بكتيبة من جنودهم لا رغبة في
اعانته ولكن خوفاً منه اما الاثينيون فحرك زمستينوس في
صدورهم حاسات الشجاعة والمحبة فاستأجروا عشرة الاف
جندي وارسلوهم لمحاربة المكدونيين انتصاراً للامفسيين
الكافرين واتشبت الحرب بين الفريقين وكانت عاقبتها وبالاً
على هولاء وحلفائهم فدخل فيلبس مدينتهم ظافراً

وانتشر خبر انتصار المكذونين في البلاد وعلم ذلك
 الاثنيون فرعبوا وبعثوا الى فيلبس رسلاً تخابره في كف
 العدوان غير انهم لم يالوا جهداً في مخالفة اليونانيين واستلفات
 انظارهم الى اعمال عدوهم الا ليدلهم صواباً واحداً لمحاربتهم
 واذلاله قبل ان يفقدوا حريتهم ويندموا على توانيهم ولات ساعة
 مندم وكانت خطباؤهم تجول في المدائن والاقاليم وتبث روح
 الشجاعة والانتقام في صدور الجميع فخالفهم المغاريون
 والكورنسيون واناس آخرون كثيرون وكان الثيبيون حائرين
 في امرهم لا يستقرون على رأي من التلق لانهم انفوا من محاربة
 الاثنيين كاعداء لهم من زمان قديم واوجسوا خوفاً من فيلبس
 كملك جبار ظالم عبيد على ان الامير المكذوني لم يقف عند
 هذا الحد من الانتصار بل اسرع وافتتح الاتيا وهي مدينة عظيمة
 واقعة بين سلسلتي جبال تمتد من بلاد فوكس الى بيوتيا ولها
 قلعة منيعة مبنية على رابية يعسر الاستيلاء عليها ومركز هذه
 المدينة مهم جداً لان من ملكها قدر على الدخول الى ارضي
 ثيبية واتينا متى اراد

وبلغ الاثنيين خبر استيلاء فيلبس على الاتيا بعد المساء
 وكان كل من قد اوى منزله ليسترى من اتعاب النهار واثقال

الاعمال فلم تكن الا برهة من الزمان حتى غصت الساحات
 العمومية باقدام الجمهور واتصب المتادي ياذن للوطنيين ان
 يرتقي المنبر من رام منهم ابداء رأي مفيد والقاء خطاب فيه نفع
 للعموم فلم يلب دعوة الداعي احد من القواد والحكام والروساء
 المجسمين ولقد دعا زمستينوس ذلك النداء صوت الوطن
 العزيز يستصرخ ابنائه ويحثهم على الاتحاد. ثم نهض هذا
 الخطيب المفضال وفاه بكلام يحرك الجلود مستنهضاً همهم
 الوانية ومظهرهم بروقا من الاماني الى ان قال فلتزحف جنودكم
 حالاً الى مدينة أليزس ليعلم الثيبون واليونانيون كافة انكم
 نصراء الحرية كما ان المكدونيين ظهراء الاولى قد باعوا اوطانهم
 بائخس الاثمان وارسلوا رسلاً الى الثيبين يذكرونهم باحسان
 اجدادكم اليهم ويخبرونهم ان الاثنيين قد نسوا ما مضى وآلوا الا
 يبرحوا مجاهدين في سبيل الدفاع عن البلاد غير طالين
 لافعالهم المحسنة اجرا

وانتصح الاثينيون بكلام خطيبهم المفلق وارسلوا الى
 أليزس كل جنودهم البرية بماثي سفينة حربية وبعثوا سفراء الى جميع
 المدائن اليونانية يدعون اهلها الى الاتحاد وذهب زمستينوس
 الى مدينة ثيبة. ويظهر انه خلب العقول بفصاحته واجذب

القلوب بعبارته الدرية فرضي الثيبون على رغم محازبي فيلبس
بمخالفة الآئينين وتجهيز العساكر اللازمة لخوض عجاج الحرب
دفاعاً عن الوطن

والتقى الفريقان في سهل خرونيا وانتشب القتال وكان
فيلبس متولياً قيادة ميمنة الجيش ليصدم الآئينين ويرد
هجمات ابطالهم الخفيفة وكان ابنه اسكندر محاطاً بالقواد المحنكين
الشهيرين يتولى قيادة الميسرة ليقا تل الفرقة الثيبية المقدسة
ولما اشرفت الشمس على تلك الجنود المنتشرة في ذلك المكان
انتشار الجراد حملت الرجال على الرجال وطافت سقاة المنون
تجرع الابطال كاساً دهاقا وما زالت رحي الحرب دائرة حتى
ولى الثيبون الادبار بعد ان قتل جميع انفار الفرقة المقدسة
فلحق بهم اسكندر وشتتهم في تلك البطاح وصدى فيلبس
الآئينين صدمة اورثتهم الخبال فقتل منهم ألفاً واسر الفين
وبدد شمل الباقيين

وعامل فيلبس الآئينين بعد هذه الواقعة بالرفق
والاحسان وسمح لهم ان يحرقوا موتاهم بكل اكرام وارسل
اسراهم الى بلادهم بلا فداء وترك لهم املاكهم الخارجية فرضوا
بابرام الصلح وسروا بمخالفته اما الثيبون فعوملوا بقساوة عظيمة

وأكرهوا على الخضوع التام للدولة المكدونية وما سبب ذلك
 إلا أن الأولين قد حازوا قصب السبق في المعارف والفنون
 فاستحقوا أكراماً لا تُقَامُ بمقامهم العالي يشهد بعظمة فيليس وكرم
 أخلاقه والآخرين قد نكروا الجميل وقابلوا الإحسان بالأساءة
 ولم يكن لهم في التاريخ ماثرة تشفع بهم فحل عليهم غضب الأمير
 المكدوني وانقادوا لثأر صاغرين

قال المؤرخون أن الجمهوريات اليونانية العديدة قد
 خضعت لفيلبس بعد وقعة خرونيّا غير أن ذلك الخضوع
 يحكيه حقوق الحماية التي تدسيها الدول العظيمة على بعض
 الممالك والولايات الصغيرة في أيامنا هذه أو بالأحرى كانت مملكة
 بافاريا لسلطان المانيا لأن تلك الجمهوريات كانت متمتعة
 بحريتها وشرائعها المدنية مقررة فقط بسيادة الأمير المكدوني الذي
 أعلن ناظر الألعاب المقدسة وهيكل ذلفي ورئيس مجلس
 الامتقطين وقائداً عاماً لجيوش اليونانيين

وفي سنة ٣٣٧ ق م أي بعد حرب خرونا بعام واحد
 عقد فيليبس مؤتمراً في كورنثوس وأخبر معتمدي اليونان بظلم
 وقساوة الولاة الفارسيين وجورهم على رعاياهم الغرباء وأعلن لهم
 رغبته في محاربة هذه الدولة القادرة انتصار الآسيين الصغفاء

والصحيح لتوسيع نطاق مملكته وشفاء غليله بالانتقام من امة
 سعت مراراً في احباط اعماله ونكائيه ولما كان اليونانيون كافة
 يكرهون الفرس لانهم قد اعتدوا عليهم قديماً وافتحوا بلادهم
 واحرقوا دينهم ونجسوا هياكلهم وحرقوها رضوا بالانضمام الى
 المكدونيين لقتال اولئك الاقوام الاولى طالما جهدوا في نزع
 حريتهم ومنازعتهم السلطة على مستعمراتهم والاراضي القريبة
 منهم وجهزوا لذلك جنوداً جرارة بلغ عددها مائتين وعشرين
 الف راجل وخمسة عشر الف فارس ولم يجهز اليونانيون قط
 جيشاً كبيراً كهذا ولكن الاتحاد هو آية الفلاح وسر النجاح
 به ترتقي الامم الى ذرى المجد والفخار ولا تسقط الا بالانقسام
 واحنفل فيلبس قبل رخيئه لقتال الفرس بزفاف ابنته
 كليوبترة الى ملك ايرس خال اسكندر فعمل الولايم واقام
 الافراح اياماً عديدة وبينما كان ذاهباً مرة الى الملعب لقيه رجل
 مكدوني اسمه بوزونياس ضربه بمذبة القاه على الارض قتيلاً
 يخطب بدماءه قيل ان زوجته اولمبياس قد ارسلت ذلك الشقي
 ليقتله لانه قد هجرها ومال قلبه الى حب الغواني واتخذ لها ضرائر
 اما اسكندر فتهم الفرس بقتل ابيه وجعل هذا الامر احد الاسباب
 التي دعت الى محاربتهم وفتح بلادهم

وهكذا مات فيلبس عام ٣٢٦ ق م في السنة السابعة
والاربعين من عمره والرابعة والعشرين من ملكه وهو اول
ملك تهمري المؤرخون الحقايق في كتابة قصته واشهار اعماله
العظيمة التي تبقى على مر الزمان مثالا للشجاعة والحكمة والتدبير
ولقد خطفته ايدى المنون قبل ان يحقق كل امانيه ويبلغ ما
نواه ولو افسح في اجله لكان بلا ريب اعظم ملك ظهر قبل
عصرنا الحديث لانه مها عمل او عزم ان يعمل لا يبلغ درجة
نابوليون بونا برني بطل القرن التاسع عشر

الفصل الثاني

في ملك اسكندر الكبير المعروف
بذي القرنين

كان اسكندر جميل الخلق والخلق كريما شجاعا ربي في
حجر التمسك والتهذيب فنشأ اديبا فطيا وقرأ الفلسفة والعلوم

على ارسطوطالس اعظم فلاسفة القدماء واخذ عنه السياسة والآداب وحكاهُ بالبلاغة وفصل الخطاب ولا ريب ان هذا العالم العلامة الذي كان دأبه معرفة وترتيب كل شيء لاهل ان يكون استاذ ملك يروم التسلط على العالم ليغير نظامه القديم بنظام جديد

واصبح اسكندر بعد موت ابيه محفوفاً بالاحطار لانه كان فتىً مناهزاً العشرين من عمره وكان له خصوم يتازعونهُ الملك ويسعون في اهلاكه لاسيما امينتاس ابن عمه الذي خلعه وخلفه فيلبس غير انه لما كانت الجود تحبهُ لبسالته وعلوم مداركه استطاع مع اصدقائه ونصرائه ان يحبط اعمال اعدائه ويردي من رآه منهم غنياً قوياً فاستتب له الامر وفاز بالوطر على رغم الحاسدين

ثم أسرع الى بلاد اليونان ليثبت اركان سلطته هناك ويخمد نار الفتنة التي كادت تشعل عند موت ابيه فاني كورنثوس وجمع نواب الجمهوريات والولايات اليونانية الذين منحوهُ الالقاب والامتيازات التي نالها فيلبس . ونظر في هذه المدينة ديوجينيس الفيلسوف الكلبي الشهير الذي مر ذكره في الفصل السابق فقال له ياديوجينيس انا اسكندر المكدوني

تمنّ ما تريد فانك تعطاه اجابه فتح قليلاً لانك حميت
عني نور الشمس حينئذ قال الملك لا عوانه لولم اكن اسكندر
لاردت ان اكون ديوجينيس . وبالحقيقة ان كليهما كانا يبغيان
غاية واحدة وان اختلفا في الوسائل المؤدية اليها الا وهي تذليل
المصاعب والاشتهار فنال ديوجينيس بفقره ما ناله اسكندر
بالانتصار على اقوى امم العالم

ونظر الايلريون والتراليون سنة ٢٣٥ ق م حادثة الملك
فظنوا الاوان قد آن لقتال المكدونيين ونيل الاستقلال فجأهروا
بالعدوان وعلم بذلك اسكندر فبادر اليهم بالخييل والرجل
ووصل بعد مسير عشرة ايام من امفيبوليس الى مضيق جبل
هموس (الان جبل البلكان) فوجد هناك فرقة من التراكيين
متمحصنين ومستعدين للكفاح فهجم عليهم بجنوده وقتل منهم الفا
 وخمسمائة رجل واسر عدداً عديداً وفرّ الباقيون هاربين ثم اسرع
الى اراضي الترياليين ولقي جنودهم معسكرين عند نهر صغير
على بعد ثلاثة ايام من الدانوب فقاتلهم وكسرهم واخضع قبائل
كثيرة ساكنة في تلك البلاد وعند رجوعه اهد ثورة الايلريين
فدان له جميع اولئك البرابرة صاغرين

وشاع خبر قبل عودته انه مات في بلاد الترياليين ففرح

اليونانيون واستبشروا وجاهر النيبون بالعصيان وقتلوا قائدي
الجنود المكدونية المحنلة اراضيهم وبلغ ذلك اسكندر فزحف
بعساكره وحاصر مدينتهم واستولى عليها عنوة وهدمها بعد ان
قتل عدداً عديداً من الاهلين وباع الباقين عبيداً

وحدث انه بينما كانت العساكر متفرقة في جميع انحاء
المدينة تنهب وتخرّب دخل قائد منزل امرأة جميلة جداً اسمها
تيموكليا فاغتنصبها وسلبها ما وجده من السلع والمال وكأنه لم
يرتض بما فعل ونهب فامرها ان تسلم اليه كل ما تملكه من
نصار ولحين فجأت به الى بستان وشارت الى بئر وقالت له
في هذه البئر قد طرحت ذهباً واشياء ثمينة فهم ذلك القائد
الطمع البخيل ان ينزل الى البئر ويخرج منها الكنوز فدفعته المرأة
بيديها فسقط في الحجب ومات ولمارات العساكر ما حلّ بالقائد
قبضت على المرأة واحضرتها الى اسكندر الذي اعجبه حسنها وعلم
ما فعلت فسالها من انت ايتها المرأة حتى تجسرين ان ترتكبي
ذنباً فيمّا كذا ولا تبالين اجابته انا اخت احد الابطال الذين
ماتوا في ساحة خرونيا وهم يحاربون فيلبس ويدافعون عن
حرية اليونانيين فذهل الملك من جسارتها وخلق سبيلها مع
بنيتها فانصرفوا جميعهم شاكرين فرحين

ان خراب مدينة ثيبة لعمل بربري فظيع لان نهوض امة
 لطلب حريتها واستقلالها ليس ذنباً عظيماً يستلزم قصاصاً صارماً
 كهذا بمحو اسم تلك الامة من عداد الشعوب ومن ياترى ينكر
 ان مسببي الثورات هم الروساء الاولى يتنفعون بالانقلابات
 السياسية وتغيير الاحكام فهم سبب البلاء وما العوام سوى
 اغنام تنقاد طوعاً او كرهاً لاهواء الكبراء ولا اظن احداً من
 السوق يروم غير السلام ل يتمتع بالراحة والهناء فكان الاجدر
 باسكندر الا ياخذ جميع التيبين بذنب بعضهم ولكنه فعل ما
 فعله ليخيف اليونانيين ويؤدبهم والحق يقال انه لما بلغتهم
 الحوادث التي جرت في ثيبة رعبوا جداً وبعثوا سفراء يهتئونه
 بعودته سالماً فطلب الى رسل الآثينيين ان يسلموا اليه عشرة
 رجال من عظمائهم وفي مقدمتهم ذمستينوس عدو مكدونية
 الالد فبادر الآثينيون الى محاكمة هؤلاء الافاضل واصدروا
 امراً بقصاص كل واحد منهم حسب ذنبه وعرضوا الامر
 لاسكندر فسر جداً بما فعلوه وسمح لذمستينوس واصحابه بالبقاء
 في آثينا وكان هذا الخطيب الشهير غير مبال بما حدث بل
 كان يقول لقومه ملك مكدونية يريد ان يقتل الراعي ليبدد
 الحراف

واحال اسكندر سنة ٣٣٤ ق م ادارة مملكته والبلاد
اليونانية الى أنتيباتر احد قواده ورحل في الربيع بمخمسة الاف
فارس وثلثين الف راجل وبعد مسير عشرين يوماً وصل الى
بوغاز الالسيوتس (الدردنيل) واجتاز من هناك الى آسيا
بمائة وستين سفينة فاحل تلك السواحل بلا مانع لان الفرس
وان كانوا عالمين بحملة المكذوني اهلوا حماية وصيانة حدودهم
الغربية

ان هذا الاهمال كان ناتجاً عن خمول وتواني الفرس وملكمهم
كودومانس المقلب بداريوس الذي تبوأ عرش المملكة بالخيث
وسفك الدماء وهذه الدولة العظيمة كانت تتسلط وقتئذ على
احسن اقاليم اسيا وافريقيا وقد عدل دخلها في كل سنة فعدل
اربعة عشر الفا وخمسمائة وستين زنة وشيئاً كثيراً لا يحصى من
الاسنام والامتنعة وكان لها اموال وافرة مدخورة في دمشق
واكبتان (الان حمدان) وغيرها من المدائن الكيرة فاذا عرفنا
ذلك لا نعجب من قول بعضهم ان دخل اسكندر من البلاد
التي فتحها كان نحو ستين مليون ليرة انكليزية

وكانت بذار الخراب قد تاصلت في ارض هذه المملكة
الواسعة الغنية واصبحت لا تحتاج الا ليد قادرة تحصد زرعها

ولذلك كما لا يخفى اسباب جدية بالاعتبار منها جهل الفرس
العظيم لفني السياسة والحرب وتنعمهم الزائد المقدار وكانت
الولايات العديدة كمالك صغيرة ممتدة ظاهراً وهي تكاد لا تعرف
ولا تعمل من مقتضيات الاتحاد شيئاً لأنها كانت مجموع
شعوب مختلفة الأديان والأجناس لا رابط لها سوى القوة وتلك
القوة كانت ضعيفة . ولربما يقول قائل هل يستحق أسكندر الشهرة
التي حازها بافتتاحه بلاداً وإهية القوى واقفة على شفا السقوط
فنجيبه ان دار يوس ملكها الحالي كان شجاعاً ومحجوباً من رعاياه
وكان في خدمته خمسون ألف جندي يوناني

وبينما كان أسكندر سائراً بالقرب من السواحل كان
ولاية الأقاليم البحرية الفارسيون مجتمعين في تروادة للائتمار في
ما يجب فعله لمحاربة وطرد أعدائهم الغرباء فالأخطار المحيطة
بهم أرتمت جلياً ضرورة الاتحاد غير ان الحسد وحب الرئاسة جعللا
ذلك الاتحاد بلا فائدة لان احدهم مامنون الروديسي وهرقائد
مخنك شهير قال لهم من الواجب ان نختبوا المعامع العظيمة وان
ننلقوا الغلال ونخربوا المدائن والقرى نضعير المكدونيون
ونرحلوا او يموتون جوعاً لانهم لا يجدون اذذاك في هذه الديار
طعاماً ولا مكاناً يتفياً ون ظلاله فلم يحل رأيه محل القبول وابتى

جميع هولاء الرؤساء الاتقياد له استكباراً وعزموا على حشد
الجنود على ضفة نهر غرانيكوس (الان كوجه شاي بين مدينة
زلّه وبوغاز الدردنيل)

وعلم اسكندر بتجمع الاعداء بالقرب من ذلك النهر فنهض
حالاً بجنوده وعبره على مراعى من الفرس الذين بادروا اليه
مسرعين وصدموا الفرقة الاولى من عساكره فهجم عليهم هجمة
الاسد الرئبال ودحرم وسهل لرجالهم الوصول اليه ثم حملت
الابطال على الابطال وكان القتال مهولاً وما زال اسكندر
جائلاً بين الصفوف يشجع قومه بصوته وفعاله حتى لقي فرقة من
شرفاء الفرس فابتدر اليهم بشجاعة ونشاط واخذ يطعنهم طعناً
لا يبقى ولا يذر الى ان تقصف الرمح في يده فاستل حساماً وهجم
على متريدات صهر داريوس وضربه ضربة مضى بها لسبيله ثم
التفت وقتل رجلاً فارسياً كاد يرد به لولا متانة خوذته ودامت
رحى الحرب دائرة حتى خارت قوى الفرس فولوا هاربين
يطلبون النجاة ومات في هذه الواقعة كثيرين من رؤساء الاعداء
وقوادهم العظام فكان هذا الامر مصداقاً لما رواه المؤرخون
ان عدد جنودهم كان مائة وعشرة الاف رجل وذهب بعضهم
انه كان ستمائة الف جندي ولا يخفى ما في هذا القول من المبالغة.

ولما كانت العساكر المكدونية قد تعودت القتال من زمان
قديم وكان ترتيبها متقناً وسلاحها فاخراً لم يمت منها سوى خمسة
وثمانين فارساً وثلثين راجلاً فأمر اسكندر بعمل تماثيل نحاسية
لهم ووضعها في مدينة ديوم تذكراً للبسالتهن وتنشيطاً لجنودهن
ليريهن انهن اذا حيوا فازوا بالاسلاب والغنائم واذا قضوا نحبهم
في ساحة الوغى حسبوا في عداد الابطال المشهورين

وامر اسكندر ان آباء واولاد عساكره الموفين يعافون
من الخراج ثم زار المجارح ولاطف كلاً منهم وحرّضهم على الصبر
واحتمال الاوجاع وارسل الى اثينا ثلثمائة درع فارسي كهدية
للإلهة منيرة وكتب عليها ما ياتي : اسلاب اختنمها اسكندر بن
فيلبس واليونانيون من براين آسيا

واستسلم له بعد هذا الانتصار ايونيا وفرجيا وكل الولايات
الواقعة الى الجهة الغربية من نهر السر (الان قزل ارمق او نهر
الاحمر) وكان الافسييون يبنون في ذلك الاوان هيكل ديانا
الذي حرّقه رجل احمق يدعى أروستراس سيف الليلة التي رواها
بها اسكندر فسر هذا البطل من سرورهم وسمح لهم بانفاق
الدراهم التي كانوا ينفدونها الفرس جزية لاتمام بناء الهيكل
واتقائه

ولم يَأْبَ الخُضُوعُ لَهُ الامْدِينَةُ اليكارتاسوسر التي تحصن فيها
 ممنون الرودسي فزحف اليها واخذ في قتال حاميتها وحصارها
 وبني لذلك أبراجاً خشبية واقام آلات حربية لهدم اسوارها
 وبعد معامع كثيرة استولى عليها سنة وخربها خلافاً لما نوه
 قبلاً لانه اراد معاملة الاهلين بالرفق والاحسان ان انقادوا له
 طائعين فاعاروه اذناً صماء ولجئوا الى قلاعهم آمنين فذاقوا
 بخراب مدينتهم ثمر العناد التبع

وكانت عمارة الفرس كبيرة ومنيعة جداً لانها كانت مؤلفة
 من اساطيل المصريين والفينقيين وولايات آسيا الصغرى
 البحرية وعلم اسكندر ذلك وسرف ان سفنه قليلة بالنسبة اليها
 ولا يمكنها الثبات لديها في ميادين البحار فتركها وقال لاعوانه
 انني املك البحر باسنيلائي على المدائن والاقاليم وبناءً عليه
 زحف الى الجهة الجنوبية وارسل قائده بارمنيو الى لدية وفرجية
 وبعث كلياندر الى البلاد اليونانية لياتيه بمجنود جديدة واذن
 لعساكره الذين تزوجوا قبل رحيلهم بالرجوع الى الاوطان
 ليصرفوا فصل الشتاء مع نساءهم ويعودوا في الربيع

ومعلوم ان الابطال الذين سودت اعمالهم البيضاء صحف
 التاريخ والذين سادوا وشادوا واشتهروا بالغزوات والفتوح

قد افلحوا بالحكمة والتدبير لا بكثرة الجنود وعليه فاسكندر قد
استمال سكان آسيا الصغرى بجماله وفطنته لانه كان يمنح اهالي
المداين التي يفتحها حق التمتع بحرية بعوائدها وشرائعها
الخصوصية فتبارى الولاة الفارسيون في الخضوع له حباً به
وفراراً من سيف انتقامه اذا عصوا له امراً وبادر اليونانيون
المستعمرون تلك الاصقاع الى الاستسلام له والتجند تحت رايته
افتخاراً بامير قادر يبذل جهده في رفع شان ابناء جنسهم
ويخولم حرية لاقامة حكومات جمهورية وما يشهد لهذا البطل
الشهير بالفضيلة والفضل هوانه في كل مكان يمر به او يجنله
كان ينشط الصناعة والزراعة وكل شيء يعود على المجتمع
البشري بالخير والنجاح وخالف عوائد الاقدمين واصلحها
باعباره البرابرة رعية لاعبيداً واليونانيين حلفاء لارعية
ونشر لواء الانصاف والاصلاح فرأى الجميع فرقاً عظيماً بين
احكامه العادلة واستبداد الفرس واطاع حكومتي آثينا
وسبرطا

اذا كان الكذب والمبالغة في الحديث شان الجهلة الغافلين
فماذا يكون شان المؤرخين العلماء الاولى يروون اساطير
لا يصدقها العقل او كيف يصدقها وهي تخالف النواميس

الطبيعية تماماً فاساس فلسفة التاريخ هو القياس المنطقي الذي
مقدمته الكبرى الممكن او المستحيل ونتيجته تصديق او تكذيب
الحادث المحكي . تقول ذلك نوطئة لما سنورده كي يكون القارئ
اللبيب على بصيرة ويعلم اننا لم ندخرو سعة في التنقيير عن الحقائق
ما ممكن غير ان الضرورة تدعونا احياناً الى ذكر طرف من
خرافات القوم كما نبهنا في صدر الكتاب لنظهر تاخر علماء
المتقدمين عن بلوغ مكانة علماءنا الحديثين من حيث صدق
الرواية والتدقيق وان كانوا قد فاتوهم في البلاغة والاحسان
قالوا ان اسكندر بينما كان متردداً في هل يذهب توالمقاتلة
داريوس واحراز الفخار والغنائم او يسرع للاستيلاء على المدائن
البحرية ليمنع اعداءه من ارسال مراكبهم تحارب بلاد اليونان
ومكدونية وتخضعها انفجرت بغتة عين ماءً بالقرب من مدينة
كراتس (الان غويك) وقذفت قصعة نحاسية مكتوب عليها
باحرف قديمة ما معناه ان الاوان قد آن لخراب دولة الفرس
على يد اليونانيين فتعجب الجميع من هذه العجيبة وداوموا مسيرهم
لاخضاع السواحل وحكوا انه في جون بامفيلس (الان جون
أداليا) تاخرت مياه البحر راجعة عند قدوم اسكندر ليجناز ذلك
المكان ولعل يوسيفوس المؤرخ اليهودي قد اغتر بكلام

اليونانيين فصدق هذا الحادث وشبهه بانفصال مياه البحر
الاحمر لمرور الاسرائيليين فيه

وارسلت اليه أسبندس (الان دشاش كبير) وهي قاعدة
بامفيليا رسلاً يعرضون له رغبة الاهلين في تسليم المدينة اليه
بشرط الا يغادر فيها جيش احتلال فرضي اسكندر وطلب اليهم
ان يتقدوه خمسين زنة وان يعطوه الخيول التي اعدوها جزية
لداريوس فابوا اجابته الى ماسأل فزحف وحاصر مدينتهم
واكرهم على اعطائه مائة زنة بدلاً من الخمسين وتسليم مدائنهم
الكيرة اليه كرهائن تجبرهم على الاذعان لاوامر الحاكم الذي
ولاه وامرهم بنقد الحكومة المكدونية جزية معلومة في كل سنة ثم
سار الى فرجية حيث كان ينتظره قائده بارمانيو والجنود الجديدة
التي امر بتجهيزها من بلاد اليونان ووصل الى غورديوم عاصمة
تلك الديار فحل او قطع عقدة كان الاقدمون يزعمون ان من
يحلها يملك الاقطار الاسيوية ولا اعلم ما سر هذه العقدة واعجب
كيف ان البشر يستقنون الى هذه الدرجة من الجهل فيعتقدون
ان عقدة تخول الانسان السعادة كانتها مفتاح كنوز العالم او ملك
بيده ارواح العباد فلا يستطيع احد ان يعصي له امراً وقد
حكوا لذلك اسباباً خرافية نوردها بالاختصار

كان في قديم الزمان لرجل فرجي اسمه غوردبوس قطعة
 ارض صغير وزوجا بقر كان يقرن زوجاً منها للحرث والزوج
 الآخر لجر عجلة وحدث ذات يوم انه بينما كان يفلح بستانه
 سقط على النير نسروبي واقفاً عليه الى المساء فرعب الرجل
 مما حدث واسرع لاستشارة سحرة التلميسيين وهم شعب
 يسكن قسماً من جبال طورس او الاداغ في ارمينيا واذا كان
 سائر لقي بتاً عذراء تستقي ماءً فاخبرها بما جرى له فاشارت
 عليه ان يصعد الى قمة رابية ويقدم ذبيحة لجوبيتر ففعل ثم تزجها
 فولدت له غلاماً دعاه ميداس وكانت الحروب الاهلية قائمة
 وقتئذ في فرجيا على قدم وساق فمل الفرجيون من الفتنة
 واستشاروا وحياً عما يجب فعله لاهاد نارها اجابهم الوحي ان
 الالهة ستبسل اليهم ملكاً راكباً في عجلة يتسلط عليهم ويصلح
 الاحوال وبينما كانوا مجتمعين يتذكرون في هذا الامر اقبل
 ميداس في عجلته فعلموا ان الوحي قد تم واقاموه ملكاً عليهم
 واهدى ميداس الى جوبيتر مركبة ابية شكر الله على ما اناله
 وربط تلك المركبة بجمل وعنده العقدة المشار اليها
 وراى داريوس بعين الخوف والسد تقدم ابن فيلبس
 ونجاحه فاغرى احد اعوانه بقتله ووعد ان يعطيه عشرة الاف

زنة وان يملكه على مكدونية فعلم ذلك بارمنيوا وخبر به اسكندر
فقبض حالاً على الخائن وجوزي كما يستحق

وكان ملك الفرس اخذاً في الاستعداد فجهز جيوشاً جرارة
بلغ عددها ستمائة الف جندي تولى هو نفسه قيادتها غير انه
شتان بينه وبين عدوه اسكندر اذ المكدوني كان قائداً خبيراً
وبطلاً مغواراً لا يبالي بالاعساب ولا يعبأ بالتعزم وزخرفة
الملابس وكان داريوس سائراً بعساكره كعروس تحلى على بعلمها
او من اين للعروس ذلك التاج المرصع وتلك الثياب الفاخرة
المزينة بالجواهر وكانت امرأته وسراريه يصميه في هذه الحملة
كانهن ساعيات الى ولائم وافراح لا الى ساحات الضرب
والطعان

وما زال اسكندر جائلاً في البلاد متصراً حتى وصل الى
كدوكية وعسكر في سهل يدعى ساحه كورش الى الجهة
الجنوبية من هذا السهل واقعة كيليكية التي يحيط بها البحر
وجبال شامخة وعرة بصعب ارتقاؤها فارسل اليها كتيبة
تحمس مضيقاً اسمها الابواب وهو المكان الذي يمكن الدخول
الى البلاد منه وبلغ اسكندر ما دبر الاعداء فنهض ايلاً بفرقة
من جنوده ودهم عساكر الفرس المحملة المضيق فرعبوا وولوا

هاريين وكان الوالي قد عول على نهب مدينة طرسوس
حاضر ولايته قبل ان يغادرها فلم يمكنه المكث في من اجراء ما
نواه لانه اتاه مسرعاً كالبرق الخاطف ولولم يبادر الى الهزيمة
لذا عذاب السعير

واعترى اسكندر في طرسوس مرض شديد على اثر المشقات
التي تجشمها في هذه الحروب او لسبب اغتساله بمياه كدنوس
الباردة وهو متعب وجسده راسخ وظن الجميع الاطبيبا اسمه
فيلبس الاكارناني ان موته لامباله قريب فعمل له شراباً ودفعه
اليه ليشربه فتناول العلاج واعطى الطبيب كتاباً ارسله اليه
برمينيون يحذره فيه منه وكان اسكندر لم يبال بالحمام او كان
واثقاً بصدق اصدقائه فتجمع العلاج المذكور وشفي في الحال
ومشى بعد ذلك الى مدينة انخياوس ونظر فيها ضريح
سردانا بالس^(١) وتمثاله العظيم المكتوب عليه بيت شعر معناه
هذا سردانا بالس الذي بنى مدينتي انخياوس وطرسوس في يوم

(١) هو اخر ملوك دولة نينوى الاشورية كان مسرفاً ومختلاً وكان
يقضي النهار والليل في قصره بين الخواري لا يظفره احد من رعاياه فنهض
لذلك ارباسس والي ماديا وبلسس اشرف كهنة الكلدان وزحفنا لمخاربه
بميش جرار فتحول هذا الملك بغتة الى بطل مغوار فقاد جنوده ولقي عدوه
وكسرها مرتين الا انها استظفرا عليه اخيراً وحاصروا مدينة نينوى فدام

واحد وإما اتم ايها الغرباء فكلوا واشربوا والعبوا لان كل شيء يعملهُ البشر لا يوازي ذلك

وظن داريوس ان تاسراسكندر عن قطع جبال سوريا الشمالية ناتج عن جبن وخوف منه فرحل بجنوده حالاً من سهل صوحس الواسع الاطراف واجناز مضيق امانوس ليتأثر عدوه كما زعم ويوقع به ثم زحف جنوباً الى جهة خليج اسوس واستولى على المدينة وقتل المجرى المكدونيين والرجال الباقين فيها لحمايتها وكان اسكندر قد عبر المضيق المسمى ابواب سوريا (بيلان) واتي وعسكر بالقرب من مدينة مارياندرس فلما علم بما فعل الفرس فرح واستبشر ونهض بعساكره ليلاً وما زال

الحصار سنتين ولما رأى الملك انه لا سبيل الى خلاص المدينة جمع امواله ونساءه وجواربه وجلس معهم على حطب امر باشعاله فاشتعل واحترقوا جميعاً حينئذ دخل الاعداء نينوى وملكوها هذا ما رواه كتيبياس ووافقه عليه مورخون كثيرون بوخذ من كلامهم ان سقوط الدولة الاشورية كان سنة ٨٧٦ ق م والمظنون ان قصة سردانا بالاس خرافة لانه هو الاله ساندون الذي كان الآسيون يعبدونه وهذه الرواية تخالف ما حكاه أروودونوس وما اثبتته نورا اليهود لان كليهما يعلن انقراض الدولة النينوية بعد القرن الثامن قبل المسيح اما العلماء الحديثون فلكي يطابقوا بين الروايين قالوا بوجود دولتين في نينوى احدهما انقرضت بموت سردانا بالاس والاخرى على يد كيا كراس المادي سنة ٦٠٦ ق م

سائراً حتى لقي أعداءه عند الصباح

ولو كان داريوس خيراً بالفنون الحربية لم يترك سهل
صوخس العظيم حيث يمكن رجالة ولا سيما فرسانه الهجوم
بسهولة والجولان في ميدان القتال ليأتي مكاناً يضيق بجيشه
العرمرم ويحبل بالقرب من ضفة نهر بناروس في أرض رديئة
ومستوعرة ولا ريب أن جهله وجبن رجاله قد ساقاه ومملكته
إلى الهلاك والخراب لأنه حينما انتشب القتال رعب الفرس
وصاحوا بالويل والحرب وبعد أن قُتل منهم خلق كثير ولوا
وملكهم هاربين يطلبون النجاة ولم يثبت في ذلك النهار سوى
اليونانيين الذين استأجرهم الفرس فردوا هجمات المكدونيين
ومنعهم من تأثر داريوس والقبض عليه

واستولى أسكندر في ذلك النهار على معسكر الفرس
وسرادق الملك ووجد فيها جواهر وامتعة ثمينة لا تحصى ولما
كانت أم داريوس وامراته وجواربه غير قادرات أن يتبعنه
وهو منهزم ورحى الحرب دائرة بقيت في سرادقهن يندبن سوء
حظهن إذا الأسيرات في الزمان القديم يحسبن إماء المنتصر ولو
كن ملكات وبنات ملوك

ولا ريب أن ملك المكدونيين البطل قد فاق البشر

بشجاعته وشهامته لانه ارسل اليهن حالا احد اعوانه ليطيب
 خاطرهن وفي الغد زارهن مع دتيه افسطيون وحينما ابصرتهما
 سيزيغاميس ام دار يوس تقدمت اليهما بسرعة وخرت ساجدة
 عند قدمي افسطيون ظانة انه الظافر على جيوش ابنها وحينما
 اشعرت بخطائهما نكصت على نفسيهما خيلاً وارادت الانذار
 فقال لها الملك قد اصببت ايتم السيدة ان استيفون هو نظير
 اسكندر

وكان اسكندر راغباً في افتتاح المدائن البحرية ليمنع سفن
 الفينيقيين وغيرهم من احباط اليه والذهاب الى بلاد اليونان
 لاثارة الفتن فيها ومساعدة اللكديمونيين اعدائه فزحف بجنوده
 الى الجهات الجنوبية وما زال سائراً والنصريته تقدمه حتى وصل
 الى صور وهي مدينة مبنية في جزيرة يفصلها عن البر خليج ضيق
 عرضه نصف ميل ذات اسوار مبنية جداً علوها مائة قدم وقيل
 مائة وخمسون ولا يخفى ما كان لهذه المدينة من الاهمية والعظمة
 في الازمنة القديمة فانها كانت سلطنة التجارة واميرة البحار
 وبلغ الصوريين قرب وصول هذا البطل فارسلوا اليه
 رسلاً يعلنون خضوعهم له ويسالونه الانصراف عنهم فقال لهم
 اسكندر انه راض باجابتهم الى ما طلبوه بشرط ان ياذنوا له

بالدخول الى مدينتهم ليزجج فيها ذبيحة ويقدم قرابين للإله
 اركيلس فارتد اولئك الرسل راجعين واخبروا من ارسلهم بما
 قال المكدونى وامر فعلوا جميعهم ان وراء الأكمة ما وراءها
 وعولوا لذلك على منعه ما ساله واستعدوا للقتال دفاعاً عن
 حريتهم واستقلالهم فزحف اسكندر اذ ذاك بجنوده والتقى على
 المدينة المحصار واخذ في بناء تنهاة ليفصل البحر ويوصل الجزير
 بالبر وشاد برجين خشبيين ليحمي الفعلة ويرد الصوريين عن
 الاسوار غير ان اجتهاده ذهب ادراج الرياح لان اولئك الاقوام
 النشيطين هجموا على رجاله برّاً وبحراً وتمكنوا من هدم وحرق
 ما بناه

ولم يكن اسكندر من الذين تتعدىهم المصاعب عن نيل
 ما يبتغون فجدّ في بناء تنهاة جديدة اوسع وامتن من الاولى
 وكان هو نفسه يدير العمل ويقاسم الرجال الاعاب والمشقات
 فتسنى له اتمام ما رام بناءه على رغم الجزريين الباسلين واتاه
 في ذلك الحين مدد من بلاد اليونان وسفن كثيرة من الانايم
 البحرية التي تغلب عليها فنشط الى الكرو الكفاج واصبح قادراً
 ان يضايق المحصورين ويحاربهم برّاً وبحراً
 وبعد ان حاصر المكدونيون صوراً سبعة اشهر اتصرفوا

على اعدائهم في البحر نصرًا مبينًا ثم تقدموا الى البر وهجموا على الاسوار هجمة الضراغم فدام القتال يومين وفي اليوم الثالث استولى اسكندر على المدينة عنوة وقتل من اهلها ثمانية الاف نفس واستبعد ثلثين الفا وما ذاك الا لان الصوريين كانوا يقتلون ويعذبون من يظفرون به من المكdonيين واليونانيين فحسب فعله هذا انتقاما عادلا اما المحكام وبعض من القرطبيين الذين اتوا لعبادة آلهة اجدادهم فلجئوا الى هيكل اركليس ونجوا بانفسهم

قال يوسيفيوس ان اسكندر بعد افشاحه صوراً اذهب الى اورشليم وسجد لجدعيارئيس كهنة اليهود وعمل اعمالاً اخرى املتأ على ما اظن قريحة المورخ المذكور لان كل ذلك غير مكتوب في كتب اليونان ولم يروه احد من مورخهم . واخضع اسكندر فنيقية وجميع البلدان المجاورة ثم زحف بجنوده الى القطر المصري ليستولي عليه فوصل اولاً الى غزة وهي مدينة في جنوب سوريا وافعة على بعد ميلين من البحر ومبنية على رابية عالية

ولما كانت هذه المدينة حصينة جداً وكان اهلها شجعاناً واقوياء دام حصارها مدة مديدة ولم يمكن المكdonيين الاستيلاء

عليها الا بعد ان قتلوا في الحرب جميع رجالها الاشداء فدخلوها
ظافرين واستعبدوا نساءها واولادها ونقلوا اليها سكانا من
المدن القرية منها وجعلوها حصنا حصينا لرد هجمات وغزوات
العرب الابطال

ولا يخفى ان الاستعباد يوقع المرء في الخمول ويفقده تلك
الصفات الحسنة التي يمتاز بها الرجل الحر الكريم ويجعله مخفرا
ذليلاً لا يعرف الشهامة والوداد ويرى الفخر كل الفخر في الخيانة
والغدر وسبب ذلك انه فقد حقوقه الشخصية وسلب احسن
صفات الانسانية فربى في حجر الخوف من مولى يكرمه وهو
يغضه ونشأ وحب الاتهام ينمو في قلبه ويد الظلم مثقلة كاهله .
هذه هي صفات المصريين القدماء في عهد اسكندر لان نير
عبودية الفرس قد اوقعهم في مهاوي الذل والمسكنة فنسوا
كونهم سلالة اولئك الاقوام الذين رفعوا شاب الانسانية
بعلومهم وآدابهم وخطوا لهم بقلم الفضل على جبهة الدهر ذكراً
لا يمحى وعليه فلم يجد الملكدونيون مانعاً من افتتاح ذلك
الاقليم الواسع الارحاء والتقدم في البلاد طويلاً وعرضاً كيف
لا وعساكر الفرس كانت هناك قليلة جداً والوطنيون سروا
بهذا التغير

وقدم اسكندر في ممفيس ذبائح لآلهة المصريين شكرًا لها
على انتصاره العظيم وبعد ان اقام فيها وفي بلوزيوم عساكر
كافية لحماية القطر عاد راجعًا بمن بقي معه الى كانوبس (بالقرب
من ابي قير) وبنى في تلك البقعة مدينة دعاها الاسكندرية
وما كان مركز هذه المدينة الجديدة حسنًا جدًا وموافقًا للتجارة
في جميع الاقطار اصبحت من اعظم مدائن مصر والشرق ولم تنزل
الى الان مشهورة يتوارد اليها تجار وسياح الخافقين

وكان في قفر ليبيا هيكل للاله جوبيتر عمون بقصده
الزوار الآسيون والمصريون من كل فج عميق فهو عند هؤلاء
الاقوام بمثابة هيكل ذلني عند اليونان اي وحي ينبيء الزائرين
بطوالهم ونجاح او اخفاق مساعيهم وما ينوون فهذا الهيكل قصده
اسكندر وسال كهنته عن نجاح حملته على الفرس فقالوا له انه
ابن جوبيتر وان الاله ستاتيه بفتح قريب فسر اسكندر جدًا وعاد
راجعًا من حيث اتى وبعد ان نظم الحكومة واقام حكمًا وطنيين
وترك في البلاد جنودًا مكدونيه سار مسرعًا الى فينيقية ومنها
الى الفرات فعبره سنة ٣٢١ والتقى بميوش داريوس بالقرب
من مدينة اربلا في سهل غوغاملا وكانت عساكر الفرس مليون
راجل واربعين الف فارس ومائتي مركبة حربية وخمسة عشر

فيلاً وقال بعضهم ان عدد الرجال لم يكن اكثر من ستمائة الف
نفس اما الفرسان فكانوا مائة وخمسة واربعين الفا واطن
بالرواية الاولى مبالغة في عدد المشاة والثانية زيادة في عدد
الفرسان والعهد في هذا الامر على المؤرخين اليونانيين الذين
يحبون تعظيم اسكندر فيكثررون في صفحات تواريخهم جنود
اعدائه ولو كانت اقل جداً في ميادين القتال حتى يكون
لنصراته لدى الملوك شأن عظيم ودليل ذلك قولهم ان عساكر
ملك مكدونية كانت اربعين الف راجل وسبعة الاف
فارس فقط

والتقى الفريقان عند المساء في السهل المشار اليه آنفاً
واحتل امكاناً تتجه بعضها وقضبا ذلك الليل بالاستعداد للكفاح
وكان قواد اسكندر يشيرون عليه ان يقاتل الاعداء تحت جنح
الظلام لانهم اكثر عدداً فيمكنه ان يفتك بهم والرجوع الى الوراء
فيتمضون اذ ذاك ويحاربون بعضهم وهم لا يدرون الا ان
اسكندر ابي ارتكاب هذه الخيانة ونام تلك الليلة ملء جفونه
ولما اصبح الصباح لم يستبقر فاته برمينيو وقال له اراك نائماً
بهذه كانه نلت الظفر اجابه اأست تعد لقاء دار يوس
وجيوشه انتصاراً مبيناً

ثم انتشب القتال وكانت عساكر المكدونيين تسير الى
 جهة ميسرة الفرس لتحارب قسماً منهم وتشتت شمله قبل ان
 يطبق عليهم داريوس بجنوده الجرارة فادرك ذلك الاعداء
 وهجموا عليهم بالخيـل والرجل فدام القتال برهة ثم انجلت
 المعركة عن هزيمة الاعداء في مقدمتهم ملكهم داريوس الذي
 قطع جبال ارمينيا وماذا فثأثراً اسكندر ولما وصل الى تلك
 الجهات اخبره بستانس بن اوخس ملك الفرس السابق ان
 داريوس قد غادر هذه الارحاء من خمسة ايام ومعه ثلاثة الاف
 فارس وستة الاف راجل فسار اسكندر حتى وصل الى
 مضيق جبال قزوين فلقى هناك باجستانس وهو شريف بابلي
 وعلم منه ان باسس والي بكتريا (بخارى) قد اتحد مع نابارزانس
 قائد فرسان داريوس ومع بارزائنتس والي درانغيانا واراخوزيا
 (سجستان) والقسـم الجنوبي الشرقي من افغانستان والشمالي
 الشرقي من بلوخرستان) وخرج على داريوس فاسرع اسكندر اذ
 ذاك بمسيره الى ان وصل الى المعسكر الذي هرب منه باجستانس
 فوجد بعض فرق من جيش العدو اخبرته ان باسس قد اتى
 القبض على داريوس واعلن نفسه ملكاً اما العساكر اليونانية
 المستاجرة فانفتت من فعله وتركتة ولجئت الى الجبال

حينئذ جدّ اسكندر في سيره وبعد ان مشى نهراً واحداً
 وليلين ادرك الاعداء فلما راوه مقبلاً طعنوا داريوس وتركوه
 مطروحاً على وجه الارض فمات ذلك الامير التيعس وهو آخر
 ملوك العائلة الهستاسبية ويظهر ان موته قد احزن اسكندر فامر
 ان يحمل الى بلاد فارس ويدفن بالتبلة والتكريم في مدفن
 الملوك اجداده واحلّ اولاده محلاً عالياً وتزوج باستاير
 اكبر بناته

وما زال اسكندر متأثراً اولئك الاقوام العصاة حتى عبر
 نهر الاوكسس (جيحون) فبلغه هناك ان باسس الذي خان
 داريوس مولاه قد خانته تابعه سبيتامينس واتفق بعد ذلك
 ان المكدونيين لقوا باسس الخائن المذكور فالتقوا القبض عليه
 واماتوه شرّاً ميتة جزاء انه على فعله القبيح وقدر سبيتامينس
 بدهائه ومكره ان يستميل سكان الاراضي والولايات التي مرّ
 فيها فلحق به اسكندر وتوغل لذلك في اقاليم اُريّا (القسم الشمالي
 من خراسان والغربي مع الجنوبي الغربي من افغانستان) وبكتريا
 (بخارى) وصوغديانا (قسم من تركستان وبخارى) وهو يشتمل
 الان على القطر المدعو صوغديانا (منها هذا) ولما كان اهالي
 تلك الارحاء شجعاناً واشداء لم يبالوا ببطل مكدونيه وجيوشه

بل قاتلوه مدة مديدة ولم ينتصر المكدونيون عليهم الا بعد
 حروب طويلة سالت فيها على الارض دماء الابطال انهاراً ثم
 عبر اسكندر نهر جاكزرتس (سيمون) وحارب السكيتيين
 واخضعهم وكانت اهالي البلاد الواقعة بين بحر قزوين ونهر
 سيمون مجاهدين بالعصيان فاسرع لمحاربتهم وكسره في وقائع
 كثيرة فخضعوا له صاغرين اما قبيلة المساجي فانها نهبت
 معسكر حلفائها وولت هاربة مع سبتيامينس الى القفار ولما
 علمت ان اسكندر معول على قتالها قتلت ذلك القائد النشيط
 وارسلت راسه الى المكدوني دلالة على خضوعها له ورغبتها في
 السلام

وكان رجل باكتري (بخاري) اسمه اوكر يارتس وهو احد
 اعوان باسس قد لجئ مع عائلته الى رابية مستوعرة في اقليم
 صوغديانا فاسرع اسكندر للقبض عليه وتمكن من ذلك بعد
 مشقات عظيمة وكان لهذا الرجل ابنة اسمها روكسانة كانت
 تعد من اجمل نساء الشرق فنزحها اسكندر وانعم على ابيها
 اكراماً لها

وصرف اسكندر اربع سنوات في محاربة اهالي تلك
 الديار المتوحشين فخضع له جميع الامم الساكنة في البلاد الواقعة

بين بحر قزوين ونهر جاكزرتس (سيحون) وسلاسل الجبال
الشاخنة التي يخرج منها نهر الهند والكنك وبني عدة مدن لرد
غزوات البرابرة وقع من جاهر منهم بالعصيان

وكان اسكندر بعد قهره داريوس وجنوده في موقعة
اربلا قد زحف الى بابل ومنها الى سوزا (الان خراب بالقرب
من شوس) ثم الى برسيبوليس فوجد فيها اموالاً كثيرة بلغت
على ما قيل ثلثين مليون ليرة انكليزية اما الجواهر وامتعة
داريوس الثمينة فكانت كافية لتحميل عشرين الف برذون
 وخمسة الاف جمل وحدث ان اسكندر عمل وليمة في الليلة
التالية ليوم وصوله اليها فيبينما كانت كؤوس الصق والسورور
دائرة على الامراء والاعيان المجنحين قامت احدى النساء
الحاضرات المسماة نائس وسالت الملك ان يامر بحرق قصر المدينة
البديع انتقاماً من الفرس لان ملكهم اكزركس قد حرق اثينا
قبلاً فاجابها اسكندر الى ما طلبت واشعل هو نفسه ذلك
البناء الفاخر غير انه ندم بعد برهة واراد اطفاء النار فلم يمكنه
اطفاؤها

وفي ربيع سنة ٢٢٧ ق م زحف اسكندر بجنوده الى بلاد
الهند وقهر وهو سائر جميع القبائل الساكنة في الجهات الشمالية

من تلك الديار وانعم على تاكسيلس الامير الهندي المالك على
 الاقليم الواقع بين نهري الهند والهدسبس (الان جولم) لانه
 خضع له اخياراً واقدم على مساعدته بالخييل والرجل وما زال
 المكدونيون سائرين والظفر يتقدمهم حتى لقوا بورس الامير
 المالك على الاقليم الواقع وراء نهر الهدسبس وكان هذا الامير
 قرماً شجاعاً وبطلاً مغواراً فجهز ثلثين الف راجل واربعة
 الاف فارس وثلثمائة مركبة حربية ومائتي فيل واستعد لمحاربة
 اعدائه الغرباء ولما عبر اسكندر النهر بفرقة من جيوشه هجم عليه
 ابن بورس بالفي فارس ومائة وعشرين مركبة فانتشب القتال
 ودام برهة الا ان المكدونيين استظفروا اخيراً على الهنود وقتلوا
 قائدهم واربعائة فارس واخذوا منهم مركبات كثيرة وفي هذه
 الاثناء كان معظم الجيش المكدوني قد عبر النهر واستعد للهجوم
 على عساكر بورس فالتحم الفريقان وحي وطيس الحرب وخرت
 الابطال صرعى بضربات السيوف البواتر وطعنات عوالي
 المرن ومات في ذلك النهار ابن بورس وعشرون الفا من رجاله
 وثلثة الاف من فرسانه وولى الباقيون هاربين فلاحق المكدونيون
 بهم وقبضوا على بورس واحضروه الى اسكندر حياً فعجب هذا
 البطل من طول قامته وشجاعته الظاهرة على محياه الصبيح وسأله

قائلاً كيف تريد ان اعاملك اجابه الهندي معاملة ملك فسر
اسكندر من جوابه ورد عليه ملكه واتخذهُ صديقاً وحليفاً
واضاف الى مملكته بلاد غلوزي وامر في الحال بدفن القتلى
والاحتيال بالغاب رياضية ثم بنى على ضفة نهر الهندسبس حيث
جرت المعركة مدينة دعاها نيكيا وعلى الضفة المقابلة مدينة
اخرى دعاها بوكيفاليا تذكراً لجواده بوكيفالس الذي مات
هناك . ثم زحف لمحاربة امير آخر هندي اسمه بورس ايضاً
فقهره واستولى على البلاد الواقعة ما بين نهري اكيسينس (الان
شينوب) وهيدروتس (الان رفي) وافتتح مدينة سنغالا بعد
حصار شديد وقتل من اهلها سبعة عشر الف رجل وولى على
جميع تلك الارزاء حليفه الجديد بورس وبنى بالقرب من
ضفة نهر الهيفاسيس في اراضي بونجاب اثني عشر مذبحاً عظيماً
تحاكي بعلوها وكبرها اعظم حصون ذلك الاقليم وجعلها اخر
حدود غزواته لان المشقات والحروب نهكت عساكره وشوقتهم
الى بلادهم فابوا ان يتوغلوا اكثر في تلك الديار وطلبوا الرجوع
الى الاوطان

وكان اسكندر عازماً ان يحول في جميع الاقطار الهندية
ويستولي عليها فاحزنه جداً خبر تمرد جنوده فجمع في الحال

روساء الجيش وخاطبهم بما معناه : لسا بعيدا الان من نهر
الكلك والبحر الشرقي الذي يحيط بالعالم ويتصل ببحر الهند
بالقرب من خليج العجم فلا بد لنا اذا من اجنيزه والتوغل في
افريقيا حتى نصل الى اقاصي الدنيا عند اعمدة اركيلس (بوغاز
جبل طارق) ولقد كان يحق لكم ان تضجروا من هذه النزوات
لولم اكن مساويا لكم في تحمل الاعاب وخوض بحار الاخطار
انظروا الى هذه البلاد الواسعة الاطراف واعلموا انكم ستملكونها
وكنوزها الثمينة غنمة باردة وحينما نستولي على سائر الاقطار
الاسيوية واراد احد منكم الرجوع الى وطنه فاننا اوصله ومن
اراد البقاء معي اجزل لامحالة صلته

فعقب كلامه هذا سكوت عظيم ولم يجسر احدا ان يفوه
بنت شفة حيثئذ تقدم كينوس وهو قائد شيخ وساله ان ياذن
للعساكر بالرجوع الى مكدونية وان ياتي من هناك بجنود آخرين
راغبين في الحرب والتجاح فغضب اسكندر عند سماعه هذه
الكلمات ودخل الى سرادقه وفي الغد دعاهم ثانية وقال لهم انني
لا اكره احدا ان يتبعني بل انا عازم ان اذهب وحدي اذا مست
الحاجة فمن اراد منكم الرجوع فليرجع ولينبه اليونانيين انه ترك
ملكه ومضى ثم عاد الى سرادقه واقام فيه ثلاثة ايام لا يكلم احدا

غير انه لما رأى استحالة اغراء قواده وجنوده بالتوغل في تلك
الديار البعيدة من الاوطان جنم على الرجوع حالا وامر رجاله
بالتأهب للمسير فكان لصوته هذا صدى فرح وجبور في
قلوب الجميع

وكان المكدونيون قد جمعوا ألفي سفينة في نهر الهدسبس
فركبها اسكندر مع قسم عظيم من عساكره اما الباقيون فتقدموا
ماشين على ضفتي ذلك النهر وما زال هذا الجيش العرمرم سائراً
والنصر خادماً حتى وصل الى اراضي المالبين والاكسندراكين
فجرت بينه وبين الوطنيين وقعات كثيرة كاد اسكندر ان
يقضي نحباً في احداها لانه بينا كانت جنوده تحاصر قلعة المالبين
امر بوضع السلم على الجدران وكان هو اول من رقي الى السور
فاحاطت به الاعداء من كل جانب وبادروا اليه بالسهام
والسيوف القواضب فنهبوا ملجأ بعض اعوانه ورموه بسهم شق
درعه ونفذ الى صدره فسال دمه ووقع على الارض مغشياً عليه
وكانت السلاالم قد تحطمت فاقتم المكدونيون الاسوار وكسروا
ابواب المدينة وولجوها ظافرن غائبين واسرعوا لاعانة ملكهم
وقائدهم المحبوب فاتناشوه من براثن الموت وحملوه الى سرادقه
وهو في تلك الحالة المخطرة ولم يسكن روعهم الا حينما عاودته

الصحة والعافية وعاد الى قيادة الحيش وتدير احواله . وبعد
 ان وصل الى مصب نهر الهند وابصر من تلك الانحاء الاوقيانوس
 العظيم وشاهد المدّ والجزر فيه حول مسيره الى الجهة الغربية
 ودخل بلاد جدروزياء (الاقليم الجنوبي الشرقي من بلوخستان)
 وقسم جنوده الى فرق امرها ان تزحف من جهات مختلفة
 وتخترق تلك الفيافي المفترة وكان هو سائراً مع رجاله يقاسمهم
 المشقات والاعاب غير مبالٍ بالجموع ولا العطش المهلك
 ودامت الحال هكذا الى ان وصل الى اراضي كارمانيا المخصصة
 حيث التقى بفرق كثيرة من جيشه انت ذلك المكان من طرق
 عديدة حسبما اوعد اليها اما قائده نيارخس فذهب بالعمارة
 المشار اليها آنفاً من مصب نهر الهند في ٢١ ايلول سنة ٢٢٦
 ق م وسافر في البحر ليشاهد السواحل ويعاين مصبي نهري
 الفرات والدجلة فمال في البحر ثلاثة اشهر ووصل الى سوزاساماً
 في شهر نيسان سنة ٢٢٥ ق م

قال بعضهم ان اسكندر وجنوده قضوا سبعة ايام في
 كارمانيا غارقين في بحار الملذات والسرور يتعاطون المدام
 ويتميلون من شدة السكر واظن هذه الحكاية مختلقة لان
 المؤرخين المعاصرين لم يرووا شيئاً من ذلك وقال آريان

المؤرخ انها اكدوبة شبيهة باساطير الاولين
 وظن حكام عواصم البلاد الفارسية ان اسكندر سيهلك
 لا محالة في غزواته وحروبه فنبذوا الطاعة واستبدوا بالاحكام
 فعلم ذلك الملك في واسرع الى تلك الديار وقبض على حاكمي
 برسيبوليس وسوزا وعاقبها حسبما يستحقان اما حاكم مدينة بابل
 فاخذ أمواله وفر هارباً الى آثينا فمنعه الآثينيون من الدخول
 الى اراضيهم فارتد راجعاً وبعد ايام قليلة مات قتلاً فنال هذا
 الامير الخائن جزاء خيائته

وكان اسكندر يفكر في غزوات جديدة الى جهة شبه
 جزيرة العرب وبلاد الحبش ليوسع نطاق مملكته وينشط التجارة
 في جميع الاقاليم الخاضعة له فهدم الجسور المانعة المراكب من
 السير في نهر الفرات وغيره وعمل جوناً لمدينة بابل يسع الف
 سفينة وأجرى اصلاحات عديدة نافعة لم تخطر قط في بال
 ملوك الفرس الجاهلين . وارسل سفناً تجول في خليج العجم
 لتحيط علماً باحوال سكان السواحل العربية وما يجاورها
 من البلدان

ولاريب ان هذا الملك الشهير والبطل العظيم قد قرن
 الشجاعة والشهامة بالفطنة والحكمة لانه رأى رأي الحاذق

البصير وعلم ان القوة والبطش لا يكفيان لتوطيد سلطته على
 سائر الاقطار الخاضعة له بل يجب لذلك مزج تلك الامم
 المختلفة وجعلها شعباً واحداً مرتبطاً بصلات الحب والعوائد
 فيحش من الشرقيين بعد واقعة اربلا جيشاً عرمرماً اضافته الى
 جيشه المكدوني اليوناني وامر رجاله ان يتقدموا به ويتزوجوا
 بنات فارسيات لتوثيق عرى المحبة وازالة البغض والشحناء
 ومات في ذلك الحين صديقه افسيسون فحزن عليه حزناً شديداً
 وبقي ثلاثة ايام وثلاث ليال لا يغبر ثيابه ولا يذوق طعاماً وامر
 ان يحنفل بمنازته احفالا ملوكاً ربنى له ضرباً بديعاً ولما كان
 السلام ورغد العيش يجددان شجونه ويذكرانه بحبيبه المتوفى
 زحف بفرقة من جنوده لمحاربة الكوسيين الساكنين بالقرب
 من حدود ماديا وفارس وكان هؤلاء الاقوام ابطالا شجعاناً لم
 يخضعوا قط لامة غربية بل كانوا مرهوبي الجانب حتى ان ملوك
 الفرس كانوا يقدمون لهم في كل سنة هدايا ليكفوا غزواتهم
 ويمنعوا اعتداءهم عليهم فنازلهم اسكندر واذاقهم من حربه عذاب
 السعير فذلوا واستسلموا له ثم عاد راجعاً الى بابل فلقية سفراء
 اتوا من اقاصي العالم ليعلنوا صداقة مواطنهم له ورغبتهم في
 محالفته فسر جداً واخذ يفكر في الاستيلاء على جميع تلك الاقطار

غير ان الموت كان واقفاً له بالمرصاد فلم يمهله طويلاً بل اغتطفه وهو في ريعان الشباب وسبب موته النهم في الاكل وادمان الخمر في بلاد حارة فاعتبرته لذلك حتى شديدة لزمته تسعة ايام فتُبِض في ٢٨ ايار سنة ٢٢٢ ق ٠ م في السنة الثالثة والثلاثين من عمره

ان من امعن النظر في اعمال اسكندر منذ تبوأ عرش مكدونية الى ان راح مدروجا بالاكفان يتضح له جلياً حسن سجايا هذا الامير المطبوع على الجود والشجاعة والاحسان الى النوع البشري لاسيما بزمان كان فيه اكثر عوائد واخلاق الامم المتمدنة وغير المتمدنة وحشية فاسدة ويرى الغلطات التي ارتكبها والمظالم التي اجراها لا تنقص قدره الرفيع لانه في كل حال انسان والانسان ضعيف تغتفر ذنوبه الطفيفة في جنب افعاله العظيمة التي تغلدها صحف التاريخ ولو عاش هذا البطل الفضال عمراً طويلاً لقد ران يظم ملكته الواسعة ويخلص رعاياه الكثر من البلايا التي سببتها اطماع اعوانه كما ستري . ولا يمكننا ختم هذا الفصل قبل ان نذكر قتله صديقه كليتوس في سنة ٢٢٨ ق ٠ م وذلك انه كان وخالته في وليمة فدارت عليهم كؤوس المسرات ولعبت الخمر برؤوس الجميع فاخذ

اسكندر يفخر باعماله وشجاعته واقدامه ويمتن سائر الملوك حتي
انه حقراياه فيلبس وسخر منه فاغناظ كليتوس واجابه بمجدة
واهائه فعضب اسكندر جدا لكنه تربص قليلا الى ان آن
وان انصراف المدعوين فوقف وراء الباب مشمرا خنجرا ولما
خرج كليتوس ضربه ضربة سقاه بها كاس المنون

الباب الثاني

من موت اسكندر سنة ٢٢٢ ق م
الى حين انقراض دولة البطالسة
في مصر وموت كليوباترة سنة ٢٠ ق م

الفصل الاول

في ما جرى بعد موت اسكندر الى حين تجزء مملكته
تجزءا نهائيا سنة ٢٠١ ق م على اثر واقعة ايسس

ان الموت الذي اخطف اسكندر سلطان المحققين وهو
في ريعان الشباب قد احيا الرعب في قلوب البابليين لانهم
اشعروا بعظم الاخطار المحيطة بهم وبالرزايا التي يمكن ان
تفاجئهم لافول نجم هذا البطل المغوار حتي كأن صوت ناعيه
في اذانهم صوت اله المنايا اذا وافي ينذرهم بقرب المات فهرعوا الى

منازلهم واقاموا فيها ينتظرون من ذلك الضيق فرجا. اما الجنود
فابتدرت سلاحها وقضت ذلك الليل باستعداد تام للمقتال
كأن العدو قريب والحرب على الابواب. نعم ان العدو كان
قريباً ومحتلاً داخل الاسوار الا وهو اطاع الروساء والقواد لان
موت اسكندر اوقع مملكته الواسعة الممتدة الى اقاصي العالم
المعروف في حالة فوضوية لعدم وجود وارث حقيقي يرث ملكته
بعده فاخوه اريداوس كان ذا جنة وامرأة روكسانة كانت
حبلً في شهرها السادس ومن يعلم ان كانت تلد ذكراً ام انثى
لذلك كان الجميع يخشون شبوب نار حروب مهولة لا يطفئها
سوى دماء الابطال وخراب البلاد ولما اصبح الصباح اجتمع
الروساء والقواد في قاعة القصر وفتحت الابواب لتكون المذاكرات
علناً ووضع في وسط القاعة العرش وعليه الاكليل وثوب
الارجوان وسلاح الملك المتوفي

وكان برديكاس احب اولئك الروساء والقواد الى
اسكندر ذاهمة عالية وقوة وبطش بحكيمها قوة وبطش الوحوش
الضارية فاليه قد سلم الملك خاتمة قلب موته لدى اعوانه
الواقفين حول سريره ليكون ويتحبون فظن هذا البطل انه
هو الملك المزمع ان يتبوا العرش ويتسلط على جميع الاقطار التي

افتتحها اسكندر بشجاعته واقدام جنوده الا انه اظهر التواضع
ليستنب له الامر وينفي من قلوب القواد روح البغض الشحنة
فوضع الخاتم بالقرب من الاكليل وخاطب الحاضرين قائلاً:
يا رفقاءي الكرام ان مصابنا لمصاب عظيم فيحق لنا ان نبكي سيدنا
المفضل انا الليل واطراف النهار ولكن الآلهة التي ارسلته الى
الارض حيناً من الزمان قد دعته اليها واسكنته في منازلها
الساوية فلنقدم اذاً لجسده الاكرام اللائق به ولنفكر في تدبير
احوالنا واقامة رئيس اورؤساء كما نشاء ون لسياسة هذه
المملكة الواسعة ومع هذا كله اتمتعون ان رو كسانة حبل في
شهرها السادس فلربما تلد ولداً ذكراً يرث ملك ابيه فمن
الواجب ان نقيم وكيلاً وقتياً يقبض على زمام الاحكام حتى
نرى ماذا يكون

حينئذ نهض بطلموس واجابه بما معناه: لعلنا اجهدنا
النفس في محاربة البرابرة وقهرهم لنخدم ذريتهم ونكون لهم عبيداً
فمن الواجب علينا نحن اعضاء مجلس الشورى ان نضع عرش
اسكندر في محله ونلتم حوله مؤتمرين بالمسائل المهمة تحت كنف
ملكنا المتوفى الشبيه بالآلهة فيكون اجتماعنا مجلساً عالياً يصدر
وامره الى ولاه الولايات العديدة ليعملوا بموجبها قال هذا وهو

يرجو تقسيم المملكة لينال من تلك القسمة نصيباً غير ان العساكر
والفرسان الحاضرين رفضوا طلبه واطهروا الكدر من مقاصده
الشريرة فقام ارستونيوس وهو صديق برديكاس واسترعى السمع
وقال الى مائهما المكدونيون تجشون في مسألة حسمها اسكندر
نفسه الم تروا انه اقام برديكاس نائباً عنه باعطائه له وهو على
فراش الموت خاتم الملك فضيح الجمع الواقف باصوات السرور
والاستحسان كأنه رضي بما اشار به وعول على تنصيب صديقه
ملكاً او نائباً يتولى الاحكام ان يشب ابن روكسانة

ويلوح ان برديكاس قد فقد شجاعته واقدامه في ذلك
المحفل المحافل فنكص على نفسه ولم يرتق حالاً سرير الملك على
مراى من الروساء والقواد المجنحين ليحني ثمر استحسانهم كلام
صديقه ارستونيوس ولعل تريض قلباً ليظهر تواضعه
ومجاملهم على التصريح بتنصيبه ملكاً فارتكب في كلا الامرين
غلطاً فادحاً

ولما كانت الجنود المكدونية ترتب في صيانة المملكة من
الانقسام وتود تولية رجل وطني سليل العائلة الملكية كانت غير
راضية عن الامراء المجنحين ومستعدة لان تحبط اعمالهم وترد
كيدهم في نحرهم فاعلنت ما تريد بوقاحة عظيمة وذهبت مع

زعيمها مِيلْيَا غروس وهو عضو في مجلس الشورى لاحضار
 اريدايوس اخي سيدها وقائدها البطل المغوار وتنصيبه قوة
 واقتداراً فادرك المجنمون ما وراء ذلك من الاخطار لمصالحهم
 الشخصية فبادروا جميعاً الى اقامة برديكاس رئيس الفرسان
 وليوناتس رئيس المحرس حاكمين بجريان ما امر به الملك المتوفى
 ويصلحان الاحوال المخلتة ثم اسرعوا الى الخروج من المدينة هرباً
 من الجنود تاركين فيها برديكاس وحده ليقمع النافرين بشجاعته
 وحكمته الفائقة فقد ر هذا القائد الخبير والفارس الشهير ان
 يستميل السواد الاعظم من اولئك الجنود ويمنع حدوث حرب
 مهولة كان لابد من حدوثها لو اصرَّ كلا الفريقين على الانتصار
 لرئيسه فانفق ان اريدايوس وابن روكسانة بكونان ملكهن في
 وقت واحد وان برديكاس ومِيلْيَا غروس وليوناتس يُقامون
 اوصياء لابن اسكندر التاصر غير انه لما استتب الامر لبرديكاس
 وقويت شوكته جمع الجنود والفرسان للاحتفال بعيد وطني
 وقبض في اثناء ذلك على ثلثائة رجل هم زعماء النافرين واماتهم
 شرميتة اما مِيلْيَا غروس فهرب الى هيكَل واخبأ فيه فلحق به
 رجال عدوه وسقوه كاس الحمام
 وزعم برديكاس ان يموت خصمه هذا الا لد قد زال كل

خطر واصح هو الامر الناهي فاراد تدبير الاحوال واقامة رؤساء
 لا يخشى منهم ضرراً فرضي بتنصيب اريدايوس ملكاً مع ابن
 روكسانة الذي ولدته بعد ذلك وسمته باسم ابيه ومنح كلاً
 من القواد ولاية يسوسها ليعده من عاصمة المملكة ويكون هو
 في اعماله حراً مستقلاً فنال بطلموس القطر المصري واخذ
 لزيماخوس ثراكة وتولى اثينغونس وليوناتس ادارة اقليمي فرجيا
 الكبرى والصغرى وقبض ايمانوس على زمام احكام كباد وكية
 وبشون على ماديا كراتيروس مع اثينباتر عينا واليهن على بلاد
 اليونان ومكدونية اما بقية الولايات فاعطيت لمن كان يسوسها
 قبلاً من قبل اسكندر

هذا ما فعله برديكاس املاً ان يستبد بالاحكام في عاصمة
 المملكة ويفرق كلمة رفقاءه الطمعين بتفريقهم في البلاد وزرع
 بذار الحسد في قلوبهم اجمعين ليقوى على كل منهم ويستطيع
 ارتقاء اوج السعادة والفخار وارجاع المملكة كما كانت سالمة من
 الانقسام فترتع شعوبها العديدة في بحوحة الراحة والسلام وتنقاد
 لاوامره طائعة صاغرة

كل ذلك جارٍ وجثة اسكندر مطروحة في قصره لا يعبا^٤
 بها ولا ينتبه الى دفنها بالنجلة والاكرام كما يليق بالملوك العظام

نظيره لان اطماع اولئك الامراء قد اثارت الفتن فاورثتهم شغلاً
 شاغلاً وجعلت الاحفال بمنزلة سيدهم امراً غير مهم لدى تلك
 الانقلابات التي يترتب عليها شتاؤهم وسعادتهم في الدنيا الا
 انه لما انفرجت الازمة بانتصار برديكاس بادروا الى تخنيط الجثة
 لينقلوها ويدفنوها في هيكل جوبنير عمون في اقليم ليبيا حسبما
 اوعد اليهم الملك قبل موته على ان الحوادث قضت بدفنها
 بمدينة الاسكندرية بعد سنتين من يوم وفاته

ولم يكن الهيجان محصوراً في بابل عاصمة البلاد بل ان روح
 الثورة سرت الى جميع اطراف المملكة فنهض اولئك الشعوب
 المختلفة الاجناس وجاهروا بالعداء لان تلك اليد القوية التي
 اخضعتهم حيناً من الزمان قد شتم الموت واستعبدت سلطان
 الفناء فاصبحوا حسب زعمهم احرار لا يطيعون اميراً غريباً
 وعليه فالولاية الحديثون لم يمكنهم انض على زمام احكام ولاياتهم
 الا بعد سفك الدماء وخوض عاج حروب اخلفت اهميتها
 باختلاف طباع وشجاعة الاقوام ناعرين

وكان برديكاس راغباً في طييد سلطته باية وسيلة يراها
 صالحة لاجباط اعمال رفقائه ولأهالي الولايات العديدة والضعاف
 شوكتهم واهلاكهم اذا امكنه ذلك ليسنى له وحده ارتقاء عرش

مملكة اسكندر كما اشرنا آنفاً فبدأ بانتيفونس وهو واني فرجبا
 وامره بالحضور الى بابل ليتبرأ امام الجيش من التهم الكثيرة التي
 القاها على عاتقه فعلم انتيفونس ان وراء الاكمة ما وراءها فغادر
 بلاده وفرّ هارباً الى مكدونية واستجار بها اليها انتيباتروكراتيروس
 فاجاراه وتلقياه بالترحاب والاکرام وعولا على محاربة خصمه
 انتصاراً له وكان بطلاموس مكتفياً بالتسلط على الديار المصرية
 فاجس خوفاً من نوايا برديكاس وارسل رسلاً الى انتيباترو
 ورفيقه لينبهوها الى اطاع ذلك الرجل وبخشوها على اتخاذ
 الوسائل الواقية للبلاد من استبداده ورغبته في اهلاك من يراه
 قادراً ان يمنعه لذة التمتع بالسيادة والملك عليهم فتحالفوا جميعهم
 وجهزوا اليامكدونية جيشاً عرمرما وزحفوا لمقاتلة عدوها في ارضه
 وبلغ برديكاس ما جرى فنشط للكر والكفاح ونهض في الحال
 وقسم جيشه الى قسمين سلم قيادة قسم منه لايمانوس والي كبادوكية
 وما يجاورها وزحف هو بالقسم الاخر لمحاربة بطلاموس ولما علم
 ذلك انتيباتروكراتيروس قسماً ايضاً جيشها الى قسمين وتقدم
 الاول الى جبال كليكية ليعترض برديكاس ويمنعه من الذهاب
 الى مصر ومشى الثاني لمحاربة ايمانوس فلقية بالقرب من سهل
 مروادة فانتشب القتال ودارت سقاء المنون تجرع الابطال كأساً

دهاقا ودامت الحرب برهة الى ان خرّ كراتيروس قتيلاً فرعب
رجالها وولوا منهزمين وما زالوا سائرين يقطعون السهول
والخزون حتى لقوا اثيباتروا علموه ما حدث

اما برديكاس فاسرع في سيره ووصل الى الديار المصرية
فتقدم بطلاموس لمحاربتة فجرت بينهما وقعات قليلة حاز الاخير
النصر في جميعها ولما رأى عساكر برديكاس عظم المشقات التي
تجشموها بلا فائدة خرجوا على قائدهم وقتلوه في سرادفه واستسلموا
لعدوه بطلاموس سنة ٢٢١ ق م وفي ذلك الحين جيء بجثة
اسكندر من بابل على مركبة علوها ثمان وثلاثون قدماً وعرضها
اربعة عشرة وطولها اثنتان وعشرون بجرها اربعة وستون فرساً
نادر الوجود وكانت هذه المركبة وجميع الامتعة التي فيها مزينة
بالجواهر والمعادن الثمينة ومضخمة بالطيوب فوصلت اولاً الى
ممفيس ومنها الى الاسكندرية حيث دفنت جثة الملك بكل
اكرام يليق به وبني له بجانب ضريحه هيكل بديع ومتين كان
الناس يأتونه من كل فج عميق يقدمون فيه الذبائح والترايبين
للاله الجديد وسبب مخالفة وصية اسكندر ودفنه بالاسكندرية
نبوة شاعت ان المكان الذي يدفن فيه يفوق جميع الاقطار في
العظمة والثروة فآثر بطلاموس ان يكون النجاح لمدينه عامرة

اصبحت عن قليل عاصمة مملكته

وفُوض الى انتيباتر بعد موت برديكاس امر تدير المملكة
 بالنيابة عن اريدايوس وابن اسكندر القاصرين ولما كان هذا
 القائد شيخاً كان غير صالح لتولي ذلك المنصب الخطير في وقت
 كانت فيه البلاد محاطة بالاططار من كل جانب فكان
 الاجدر بالجند والروساء تنصيب فتى لم يحزن ظمن الكبر ولم يعم
 بصره وبصيرته حب الرياسة والاطماع وما يدلنا دلالة واضحة
 على جهل انتيباتر تجهيزه الجنود وارسالها مع اتيفغونس لمحاربة
 ايمونس حاكم كبادوكية وهو اصدق قائد خلفه اسكندر واحسن
 وال صادق الولاء للعائلة الملكية اما انتيباتر فلم يتقلد منصبه اكثر
 من عامين لانه مات سنة ٣١٩ ق م بعد تعيينه خليفة له قائداً
 اسمه بولسبرخون وحرمة الرئاسة ابنة كساندر فحدثت من جراء
 ذلك بين الفريقين حروب وفتن كثيرة نافي على ذكرهما في
 الفصل الثاني وانما نقول الان بوجه الاختصار ان ايمانوس الذي
 كان دابة حماية الملكين الشرعيين والدفاع عنها باية وسيلة
 كانت قاتل اتيفغونس زماناً طويلاً ولقي بشجاعة عظيمة جنوده
 الحرارة وانتصر عليه مراراً غير انه في سنة ٣١٦ ق م اخذته رجاله
 وسلمته حياً الى اتيفغونس عدوه الجديد وصديقه القديم الذي

قنلة حالا مع بعض اعوانه اما بولسبرخون نائب الملكين فلم
يستطع لقاء كساندر في ساحات القتال فغادر مكدونية ولجئ
الى بلاد بليونيزيس (الان المورة) واقام فيها مدة الى ان صالح
خصمه وصادقه سنة ٢١٠ وفي ذلك الحين قُتل اسكندر اغس
ابن رو كسانة مع امه وامراء آخرين وبهوتهم انقرضت عائلة
فيلبس كما ستعلم في موضعه (١)

اما الان وقد خلا الجو لانتيفونس واستتب له الامر في
الديار الاسيوية الواسعة الارجاء فاعلن نفسه ملكا واخذ
في الاستعداد لمحاربة ولاية الولايات الآخرين الذي رآوا
اطاعة واجسوا خوفا منه فدعوا أنفسهم ايضا ملوكا ونهضوا يدا
واحدة لقتاله واضعاف شوكرته ليتسنى لهم الاستبداد باحكام
البلاد الخاضعة لهم

وكان لانتيفونس ابن اسمه ديمتريوس الملقب ببوليوكريتس
اي الفاتح فهذا الامير الفتى كان جميل الخلق والمخلق ذا قد رشيق

(١) لم اذكر في هذا النصل غير الحوادث التي ترنبت عليها تغييرات
عامة اما الحوادث والحروب المحلية مثل اخضاع الفايين في بلاد اليونان
ومحاربة احد الولاة او الملوك للشعوب المجاورة له قصد توسيع نطاق مملكته
فذكر في النصل الذي افردته لتاريخ البلاد التي جرت فيها تلك
الحوادث والحروب

وهمة عالية يسعر نار الحروب وبخوض عجاجها بقلب ثابت
لا يعرف المخرج فاحبته المساكر جميعها لشجاعته في ساحات
الضرب والطعان وكرمه في زمان السلام فهو الذي استولى على
آثينا وجزيرة قبرص واغار على رودس سنة ٢٠٤ ق.م لان اهلها
رفضوا امداده بالسفن الحربية حينما قاتل بطلاموس ومعلوم ان
الروديين كانوا شجعاناً يصطلى بنارهم وشهيرين بالتجارة وخيرين
بعلم سلك البحار فاستعدوا لمحاربة اعدائهم استعداد من يرى
الحياة بلا حرية اشد نكالا من الموت الزوأم والذي يشهد لهم
بالجسارة ويثبت اسمهم في مصاف الابطال اقدامهم بشجاعة بقل
نظيرها على رد هجمات عساكر العدو الحجرة وحرق الآلات
الحربية التي كان ديمتريوس ياني بها لهدم الاسوار لا سيما ما علموه
لابطال ضرر الآلات الكبيرة التي لا تؤثر بها النار وذلك انهم
حفروا سردابا تحت المكان الذي اقيمت فيه الآلات المذكورة
فستطت ولم يستطع المحاصرون رفعها فتأكد ديمتريوس حينئذ
استحالة التغلب على اولئك الاقوام الشجعان وعقد معهم صلحا
واهبأ لهم جميع الآلات التي احضرها ورحل من جزيرتهم سنة
٢٠٢ ق.م قيل ان الروديين باعوا تلك الآلات وصرفوا
ثمنا لعل ذلك التمثال الشهير الذي كانت السفن تمر بين

رجليه وهي داخلة الى ميناء الجزيرة (١)

ويلوح ان النجاح والانتصار قد ابطرا انتيغونس وحملاته
على احتقار رفقائه حتى انه لم يكثر ثلم ولم يبال باتحادهم
حاسباً تلك الممالك الخاضعة لم غنيمه يمكنه الاستيلاء عليها
عاجلاً ام آجلاً فخاب امله وسقط بكبريائه واهاله في مهاوي
الذل والفشل واصبح ربحه خسارة. فلواقضى بفيلبس المكدوني
ابي اسكندر وحذا حذوه في مناهج السياسة وعلم وجوب زرع
بذار الحسد والبغضاء في قلوب اعدائه لاستطاع الانتصار عليهم
جميعاً وامكنه تاسيس مملكة واسعة تدوم ما دامت الحكمة مرافقة
الرجال القابضين على زمام احكامها ولكنه اطاع اهواءه
واغضب اولئك الامراء باطماعه الظاهر واعندائه الدائم
فاثاروا عليه حرباً عواناً وفي سنة ٢٠١ ق م حدثت بين
الفريقين معركة بالقرب من مدينة ابسس في بلاد فرجيا كانت
تسميتها موت انتيغونس واستيلاء سلوقس ملك بابل على بلاده
فدعيت مملكته المملكة السورية وكانت تشمل وقتئذ على جميع

(١) هذا التمثال سقط سنة ٢٢٢ ق م بزلزلة وفي مطروحاً في مكانه

مدة ثمانمائة وثمان وتسعين سنة وحينما افتتحت العرب رودس باعنه لرجل
يهودي كسره وحمله على تسعمائة رجل

الاقطار الاسيوية الى نهر الهند اما الممالك الاخرى فكانت
 المملكة المكدونية والمملكة المصرية والمملكة الثراكية التي لم تدمر
 مستقلة زماناً طويلاً لذلك لم نفرد لها فصلاً مخصوصاً

الفصل الثاني

في المملكة المكدونية وبلاد اليونان

من سنة ٢٢٢ الى سنة ١٤٦ ق م

(١)

مكدونية

ان اليونانيين القدماء هم اعظم امة اشتهرت في الازمنة
 القديمة بمحبة الحرية والاستقلال ولبيل ذلك الحروب المهولة
 والمعامع الكثيرة التي جرت بينهم وبين ملوك الفرس سلاطين
 الارض فانهم لم يروا قط مانعاً لسنك دماهم وتضحية اولادهم
 على مذابح القتال فداء الوطن وحرته غير ان اتسامهم الدائم
 والفتن الاهلية قد اضعفتهم واحنت رؤوسهم لنير العبودية
 فداس فيلبس ارضهم واخضعهم -نوة لاوامر المكدونيين
 البرابرة وقاد ابنه اسكندر فرسانهم وابطالهم الى الديار الاسيوية
 البعيدة ليؤسس له هناك سلطنة واسعة مشتملة على اكثر ممالك

العالم القديم فباتوا يئنون من ذلم ويرقبون الفرصة لارجاع ما
فقدوه جهلاً

ولما مات اسكندر وانتشر نعيه في الآفاق جاهر اليونانيون
بالعصيان وجهزوا الجنود وبادروا الى مضيق ثرموبيلي ليستولوا
عليه قبل ان يجنازه اتيبانتر ويدخل البلاد عائياً فيها فلقوه
في ارض تسالية وقتلوه قتالاً لا يقي ولا يذر فارنداً راجعاً
ولجئ الى مدينة لاميا (الان زيتونة) واقام بها محصوراً ينتظر
مدداً من الافطار الاسيوية

وعلم ليونانس بما هو جاري في بلاد اليونان فاسرع بحبوشه
الجرارة لقمع الثائرين وبلغ قرب وصوله اليونانيين فرفعوا
الحصار وزحفوا لقتاله فلقوه عند حدود تسالية الشمالية
فانتشبت الحرب بينهما وكانت عواناً ومات في ذلك النهار
ليونانس وولت رجاله منهزمة تطلب النجاة في الجبال
والاراضي المستوعرة

تلك النصرات المتتابعة قد افعمت قلوب اولئك الابطال
عابدي الحرية بهجة وسروراً فظنوا ان الزمان قد صفا لهم
واعاد اليهم اوقات الهناء ولذة الاستقلال ولكن هيهات ان
يدركوا ما تمنوه لان اتيبانتر جمع اشقات جيش ليونانس واتاه

كراتيروس رفيقه بجنود جديدة فاغار على اعدائه بالقرب من
مدينة كرانون (الان سارليكي) وقهرهم وبعدها خضعت له جميع
الولايات اليونانية وعاملها كما اراد عول ان يزحف الى اثينا
وبحاربها فارسل اليه الاثينيون سفراء يسترضونه ويخبرونه
بالصلح فاجابهم لاسلام الا بقتل زمستينوس ودفع غرامة واحلال
جيوش مكدونيه ميناء المدينة المدعوة مونخيا (الان فناري)
ولما كانت الجنود الاثينية قد انكسرت برأ وبجراً رضي الشعب
كرهاً بتوقيع تلك العهد

ان زمستينوس خطيب وزعيم الاحرار كان منفياً من اثينا
وسبب نفيه حسد اعدائه له وتحاملهم عليه لانهم اتهموه بمواطنة
اربالوس والي بابل حينما فرّ هارباً من اسكندر فغرموه
مقداراً من الدراهم لم يمكنه نقدها فخرج من المدينة وهام على
وجهه في السهول والحزون وهو آسف كئيب متشوق لرؤية
مواطنيه وان كانوا سبب شقائه ومتشوق دائماً الى اخبار وطنه
العزير الا انه لما مات ذلك البطل الفاتح ملك الارضين ونهض
الاثينيون من رقدة الخضوع وجهزوا تلك الجنود التي لقوا بها
انتيباتر في لاميا شجع خطيبهم البلوغ واخذ يطوف المدائن والقرى
وهو يبحث اليونانيين على مساعدة اخوانهم الاثينيين ومحاربة

أعدائهم المكدونيين فاضرم في قلوبهم نار الشجاعة والاقدام
 وحملهم على قتال انتيبتر كما تقدم القول
 وعلم ديمستينوس باهدار دمه ففر هارباً الى جزيرة كالوريا
 (الان بورو) واختمباً في هيكل اله الجرنبتون فاتاه نفر من
 المجدد وارادوا قتله في ذلك المكان المقدس فاستملمهم ريماً
 يكتب وصيته وفي الحال اخذ قلمه وكان قد حشاه سماً زعافاً
 وطفق يمسحه جرياً على عادته متى رام الافتكار ثم غطى راسه
 بشوبه والعساكر تضحك منه وتناديه يا جبان ولما شعر بدنو
 الاجل احنق ليخرج وهو يقول يانبتون اني اغادر هيكلك حياً
 وما اتم كلامه الا وارتمجت اعضاؤه وسقط على الارض ميتاً
 فصنع له الآثينيون تمثالاً نقشوا على قاعدته هذه الكلمات
 يا ديمستينوس لو عادل قوتك بلاغتك لم يكن اليونانيون عبيداً
 قد علمت ان انتيبتر مات سنة ٢١٩ ق م وعين خليفة
 له القائد بولسبرخون فاغضب ذلك ابنه كساندر حاكم
 مكدونية فارس في الحال يستميل نيكانور قائد الجنود المكدونية
 المحنلة موخيا فريضة آثينا ويساله ان يسعى في استرضاء الآثينيين
 او الاستيلاء على مدينتهم ثم ذهب سرّاً الى آسيا وقابل
 انتيغونس فامده هذا القائد بالخييل والرجل وبخمس وثلاثين

سفينة حربية اقلته وجنوده آمناً سالماً الى ميناء آثينا
 وكان بولسبرخون في اثناء ذلك فاكراً يبحث عن
 الوسائل التي يمكنه بها تقوية اركان سلطته وقمع كل عدو معاند
 فاصدر منشوراً الى جميع الولايات اليونانية يامر به سكانها ان
 يطلبوا حكومة الاعيان ويبدلوها بحكومة جمهورية ليوقع بينهم
 الانقسام والفتن و يصبح قادراً ان يملك قيادهم بلا عناء فهاج
 الرعاع في تلك الاقطار وخرجوا على روسائهم واماتوا كثيرين
 منهم شرمينة اما اثينا فبقيت حكومتها كما كانت لان نيكانور
 استولى على برياس وعضد الشرفاء القابضين على زمام الاحكام
 بوجوده هناك وبلغ بولسبرخون ما جرى فجهز الجنود وارسل
 ابنه اسكندر لقتال نيكانور وسار هو خلفه على مهل ليتمتع بلذة
 النصر من غير ان يذوق مرارة التعب واهوال الحرب

وكان في آثينا قائد شجاع قد اشتهر بالبسالة والتصوف
 وحب الوطن الا وهو فوكيون الشيخ الذي صان مدينة بزنطيم
 من فيليس ابي اسكندر (انظر صفحة ٤٤) وحاز نصرات عديدة
 في اوقات مختلفة فهذا الرجل المفضل علم ما وراء تسلط الرعاع
 من الاضرار لمواطنيه فذهب للقاء اسكندر بن بولسبرخون
 وقال له اذا استوليت على حصون آثينا فاعمل ما هو لازم لتوطيد

سلطة الاعيان فعلم ذلك الشعب وهاج عليه هيجاناً عظيماً حتى
 لم يمكنه البقاء في المدينة ففر هارباً مع بعض اصدقائه ولجئ الى
 اسكندر فارسلم هذا الى ابيه وساله ان يحسن اليهم اما
 بولسبرخون فقتل احدهم دينارخوس وهو صديقه وارجمهم
 الى اثينا لتنظر الحكومة في دعواهم فاصدر الرعاع حكماً باعدامهم
 وقتلوهم جميعاً سنة ٣١٨ ق م

ووصل كساندر الى ميناء اثينا بعد موت فوكيون باربعة
 ايام فتولى قيادة الحيوش التي هناك وارسل نيكانور بالسفن
 المجهزة لمحاربة عمارة عدوه فالتقت العمارتان بالقرب من بزنطيوم
 واقتتلتا فكان النصر اولاً لرجال بولسبرخون غير ان اثينغونس
 الذي حضر في ذلك الحين لمساعدة نيكانور بدل انتصارهم
 بالانكسار وقبض على سفنهم العديدة اما كساندر فافتتح اثينا
 واصلح احكامها واقام سنة ٣١٧ ق م صديقه ديتريوس فالروس
 حاكماً عليها

وكانت اولمياس ام اسكندر قد غادرت مكدونية وسكنت
 في بلاد ابيرس فراراً من اثينياتر عدوها الالذ فيها استعان
 بولسبرخون لتوطيد سلطته واصدر امراً بارجوعها من المنفى
 وكانت اريديكي امراة اريدايوس الملك تحب كساندر وتتولى

احكام مكدونية بالنيابة عنه حين ذهابه لقتال عدوه في بلاد
 اليونان فلما علمت بقرب وصول اولمبياس مصحوبة بحفيدها
 اسكندرا غس جمعت الجنود واسرعت لطردها غير ان اولمبياس
 اظهرت في ذلك النهار شجاعة الابطال فتقدمت بين الجيشين
 وارت العساكر ابن سيدهم المتوفى واخبرتهم ان هذا هو ملكهم
 الشرعي الوارث بحق سلطنة ابيه الواسعة فضجوا جميعهم
 باصوات السرور واستسلموا لها تاركين اريدكي واريدايس
 اسيرين في قبضة يدها فالتفتها في السجن وبعد ان عذبتها اياماً
 كثيرة قتلتها سنة ٢١٧ ق م واستبدت بالاحكام غير خاشية
 عقاباً كأن الزمان قد صفاها او كأن القساوة البربرية قد مهدت
 لها سبل ارتقاء عرش مملكة افتتحها ابنها بحكمته وشجاعة رجاله
 ولكن كيف يمكنها الهناء وانى تأمل النجاة وكساندر القادر الذي
 انتشرت عساكره في البلاد انتشار الجراد قد بادر اليها مسرعاً
 ليشأ رحيبته وينتقم من امرأة قاسية تود هلاكه وعليه فهذا
 القائد النشيط اتى مكدونية بجرأ وحارب اولمبياس واستولى
 بعد حصار طويل على قلعة بدنا (الان فطرون) حيث تحصنت
 عدونه فاخذها اسيرة وقتلها سنة ٢١٦ ق م ثم تزوج تسالونيكة
 اصغرى بنات فيلبس ووضع اسكندرا غس وامه روكسانة في

قلعة امفيبوليس ليامن شرها ويكونا بعيداً من دسائس ذوي
الاطماع والاغراض وبني مدينة على برزخ بليّني دعاها كساندريا
وهي مدينة بيناكي الحالية وجعلها عاصمة المملكة

وخشي كساندران يثور الشعب وينصب يوماً اسكندراغس
او اخاه اركلس النغل فقتلها في سنة ٢١١ وسنة ٢١٠ ق م
مع رو كسانة وكلوبترة اخت اسكندر ذي القرنين واعلن نفسه
ملكاً سنة ٢٠٦ كما علمت في الفصل الاول من هذا الباب وملك
ست سنوات بعد واقعة ابسوس وقضى نحبه مخلفاً ابنه البكر
فيلبس الرابع الذي ملك سنة واحدة فقط ومات وبهوته
اخدمت نار الشقاق والبداوة بين اخويه انتيغونس واسكندر
اذ كل منهما كان راغباً في ارتقاء سرير الملك فقتل انتيغونس
امه تسالونيكة لانها كانت جانحة لاخته الاصغر وفرّ هارباً الى
لزيماخوس حميه ملك ثراكية فلم يساعده لزيماخوس لانها كرهته
وفتتذ في محاربة بعض القبائل الساكنة بالقرب من نهر
الدانوب وخشي اسكندراً بؤس ذينك الملكين فاستجار
بدمتريوس بن انتيغونس الذي كان مالكا على بعض مدن
يونانية استولى عليها قبل وبعد واقعة ابسوس فاتاه ذلك
الامير على جناح السرعة وعوضاً عن ان ياخذ بيده جرحه بسيف

خيائه كاس الحمام وقيل ان اسكندر اراد ان يفتك به اغنياً
 فقتله ديمتريوس انتقاماً منه وتبوأ عرش مكدونية سنة ٢٩٤ ق.م
 واخذ في الاستعداد لمقاتلة الملوك المجاورة وتوسيع نطاق مملكته
 اقتداءً بابيه اتيفونس فهاج استعداده هذا خوف بيرس ملك
 ايرس ولزيماخوس ملك ثراكة ونهضاً في سنة ٢٨٧ لمحاربته
 فاتاه الاول من الجهة الشمالية والاخر من الجهة الجنوبية ولما
 كان ديمتريوس ظالماً فخوراً لم يكن محبوباً من احد وعليه حينما
 التقى بيرس جاهر جيشه بالعصيان وانضم لهساكر عدوه
 فتكر ديمتريوس وفرّ هارباً الى كساندريا ومنها الى بلاد
 اليونان وكانت امرائه قد سئمت الحيوة من طباعه وفعاله
 فاخذت سماً وماتت اما هو فذهب الى آسيا ببعض فرق من
 الجنود فاعترضه سلوقس واعتقله في بلاد خرسونزيس السورية
 الى ان قبض عام ٢٨٢ ق.م في السنة الثالثة من اسره والسادسة
 والخمسين من عمره وجملة القول انه كان حديد الطبع شجاعاً
 فطيناً رُبي في حجر الاطاع والحروب فشب جباراً عظيماً قضي
 عمره في الغارات وساحات القتال وكان له اربعة بنين اسم
 اكبرهم اتيفونس غنوطاس وهو شهير بمحبته لابيه حتي انه اراد
 ان يفديه بنفسه ويحمل عذاب وذل الاسر عوضاً عنه الا ان

سلوقس لم يرض بذلك

وبانت البلاد المكدونية بعد حرب ديمتريوس عرضة
لرزايا الحروب وبلايا الانقسام لانه في مدة بضعة اعوام تغيرت
احكامها وحكامها مراراً وذلك ان بيرس ولزيماخوس بعد
نصرتهاما اقتسما بينهما المملكة وازاف كل منهما قسمه الى مملكته
الاصليه غير ان الاهلين لاسما الجنود ابوا الانقياد لامير غريب
واحبوا الخضوع للزيماخوس فائدهم القديم الذي خاض مع
اسكندر عجاج الحروب المهولة واعلى منار مجدهم في سائر الافاق
فعصوا وامر بيرس وطردوه من ديارهم بعد ملك سبعة اشهر
ودام ملك لزيماخوس نحو خمس سنوات لان امرائه ارسناوي
بنه بطلاموس صوتر كانت حاكمة على اغاتوكلس ابن ضرتهما
فاغرت اباه بقتله تاهمة اياه تهماً كاذبة فانار فعلها هذا القبيح
بغض زوجها في قلوب رعاياه فنفروا منه وخرجوا عليه

وكانت لزاندر ارملة اغاتوكلس قد استجارت بسلوقس
فاجارها وجمع عساكره وسار بهم لقتال لزيماخوس فجرت بين
الفريقين سنة ٢٨١ في سهل كورس معركة انجلت عن قتل
لزيماخوس وتشنيت شمل جنوده وفي سنة ٢٨٠ قتل بطلاموس
كيرانوس بن بطلاموس ملك مصر سلوقس وتبوأ عرش البلاد

ثم قتل هذا الامير الغاليون الاولى اغاروا علي مكدونية وتوالى بعده على سرير الملك امراء آخرون ملكوا اياماً قليلة او بضعة اشهر كما ستري في جدول ملوك المكدونيين المدروجة فيه
اسماؤهم

تلك المحوادث والحروب التي داهمت البلاد قد اقلت الانقسام بين الرؤساء وسببت ضعفهم ممهدة لانتيفونس غنوطاس بن ديمتريوس سبل ارتقاء عرش الملكة لانه كان حاكماً على بعض مدن في اقليم البليبونزيس فلم يجد اذ ذاك مانعاً من التقدم على مهل وافتتاح دياره واحق بملكها من غيره اذا كانت السلطة على الناس بالوراثة الشرعية وملك انتيفونس ارباً واربعين سنة حارب في اولئها بيرس حين عودته من ايطاليا وصرف باقي عمره في موالاة ملكي مصر وسوريا والسعي في اخضاع المدائن اليونانية

وخلف انتيفونس ابنه ديمتريوس الثاني الذي ملك عشرة اعوام حارب في اثنائها الا تولين والابيرين وسكان الاقاليم الشمالية ومات سنة ٢٢٠ ق م مخلفاً طفلاً اسمه فيلبس اقام وصياً له اخاه انتيفونس الملقب بدوزون فتولى هذا الامير الاحكام بادئ بدء بالنيابة عن ابن اخيه ولما استتب له الامر

اعلن نفسه ملكاً

وكان انتيغونس اميراً عادلاً وحاكماً حكماً محبوباً من رعاياه ومرهوب الجانب في الاقطار المجاورة لبلاده وفي ايامه تحكمت عرى الاتحاد اليوناني الوطني المسمى بالاتحاد الاخائي الا ان انقسام اليونانيين اوقعهم في ارتباكات عظيمة وسهل لملك مكدونية اذلالهم في وقعة سلازيا وفي سنة ٢٢٠ مات انتيغونس وخلفه ابن فيلبس المعروف بفيلبس الخامس

واشتهر هذا الامير في ابتداء ملكه بالشجاعة والحكمة والفتنة فاصحح احوال بلاده ووسع نطاق مملكته . غير ان تلك الصفات الحسنة التي امتاز بها تبدلت بعد ذلك بالفساوة والجهل فانه قتل صديقه اراتوس قائد الاخائيين وعاهد انيبال القرطاجي عدو رومية . فاغضب بتلك المعاهدة الشعب الروماني الذي اثار عليه حرباً عواناً دامت عدة سنوات ولم تنته الا بانتصار القائد فلامينيوس سنة ١٦٧ في واقعة كينوس كيفالس (اسم رايتين في بلاد تساليا) على الجيوش المكدونية فعقد المتحاربون صلحاً هذه شروطه (١)

اولاً : يكون جميع الساكنين في اوربا وآسيا احراراً مستقلين

(١) انظر تاريخ الرومانيين الباب الخامس الفصل الاول

ثانياً: يخلي فيلبس قبل اوان الالعب الكورثية كل المدائن
اليونانية التي له فيها جنود

ثالثاً: يسلم الى الرومانيين كل سفنه الكبيرة ما خلا خمساً
رابعاً: لا يكون له اكثر من خمسة الاف جندي ولا يسمح
له باقتناء افيال ولا اثارة حرب خارج مكدونيه الا بادن
الشعب الروماني

(هكذا روى لفيوس وعهدة ذلك على الراوي)
خامساً: يتقد الرومانيين الف وزنة عاجلاً والنصف
الاخر بمدي عشر سنوات

سادساً: يرسل ابنه الاصغر ديمتريوس الى رومية ليقم فيها
ويكون لدى الرومانيين بمثابة رهينة او ضمانة ضمن لهم صدق
ملك مكدونيه ومحافظته على المعاهدة التي أمضاها

وكان ديمتريوس رجلاً عاقلاً وفطيناً فاحبه الرومانيون
ورضوا بارجاعه الى بلاده واظن انهم وعدوه بتخليكه على
مكدونية بعد موت ابيه فاصبح لهم صديقاً صدوقاً ثم علم سرّاً
وجهرّاً وكان اخوه الاكبر برسيوس يبغضه لمحبة الشعب له
وخوفه ان يسلبه الملك لاسيما وقد اشتهر وقتئذ ان برسيوس
نغل او ولد غريب اتت به امرأة الملك خفية بعد ما ادعت

الحبل وهي عاقرة فاتخذ هذا الأمير الظالم حب أخيه للرومانيين ذريعة لاهلاكه فوشى به إلى أبيه وتهمه بمواطئة الأعداء على افتتاح البلاد ولما كان فيلبس قد نقض المعاهدة بأعماله المخالفة للشروط خاف وصدق كل ما قيل له وأمر بقتل ابنه ديمتريوس إلا أنه عرف بعد ذلك صدقه وبرآءته فندم على ما فعل ومات سنة ١٧٨ حزينا كئيبا وخلفه برسيوس وهو رجل ظالم عاتٍ يحب الاستبداد بالاحكام والفتك بمن يعصي له أمراً

وإدرك هذا الأمير ان أفعاله وأفعال أبيه السيئة ستدعو الرومانيين إلى محاربتهم فاخذ في الاستعداد للقتال وركوب متن الاخطار والاهوال فانتشبت الحرب بين الفريقين سنة ١٧١ ودامت أربع سنوات ففي السنة الأولى لم يحدث أمر ذو بال لأن القائد الروماني ليسينيوس بعد أن انكسرت فرسانه في تساليا انتصر انتصاراً لا يذكر وهكذا في السنة الثانية والثالثة

ومن المؤكد أن برسيوس كان قادراً أن يطيل الحرب ويتنصر على أعدائه لو كان حكماً فطيناً غير أن بخلة الذميمة حرمة مساعدة إيمانوس ملك برغامس وحمل عشرين ألف جندي غالي أن يتركوه ويذهبون لأنه رفض أن ينقدهم الأجرة التي اتفقوا عليها وكان الرومانيون في السنة الرابعة قد زادوا جنودهم وعززوا

قوتهم ابتغاء انهاء حرب طويلة اورثتهم الملل فقهر القنصل
اميليوس بولص ملك مكدونية وجيوشه في معركة جرت
بمدنا في ٢٢ حزيران سنة ١٦٧ واجباه الى الهرب الى جزيرة
ساموثراس فقبض عليه هناك واتي به الى ايطاليا ليمشي امام
الظافر حين احتفاله بنصرته قيل انه امتنع في رومية عن الاكل
مدة فمات جوعاً وقيل ان الحراس الموكول اليهم امره منعه
النوم فقتل

وبعد ما قهر برسيوس قبض الرومانيون على زمام احكام
مكدونية وجعلوها سنة ١٤٨ ولاية رومانية

بيان اسماء ملوك مكدونية ومدة ملك

كل منهم

اسم الملك	مدة ملكه	اوان ملكه	اوان موته
	سنة شهر	سنة ق م	سنة ق م
كارانس			
برديكاس الاول			
ارغاوس			
فيلبس الاول			

اسم الملك	مدة ملكه سنة شهر	اولان ملكه سنة ق. م	اولان موته سنة ق. م
ابرويس			
الكائاس			
اميتاس الاول		٥٤. "	٥٠. "
اسكندر الاول		٥٠. "	٤٥٤ "
برديكاس الثاني		٤٥٤ "	٤١٢ "
ارخلاوس	١٤ "	٤١٢ "	٢٠٩ "
اورستس واروبس	٥ "	٢٩٩ "	٢٩٤ "
بوزانياس	١ "	٢٩٤ "	٢٩٢ "
اميتاس الثاني	٢٤ "	٢٩٢ "	٢٦٩ "
اسكندر الثاني	٠.٢ "	٢٦٩ "	٢٦٧ "
بطلموس الوريثيس	٠.٢ "	٢٦٧ "	٢٦٤ "
برديكاس الثالث	٠.٥ "	٢٦٤ "	٢٥٩ "
فيلبس الثاني	٢٢ "	٢٥٩ "	٢٢٦ "
اسكندر الثالث الملقب بذي القرنين	١٢ "	٢٢٦ "	٢٢٢ "
فيلبس الثالث المسمى	٠.٧ "	٢٢٢ "	٢١٦ "
اريدابوس	٠.١ "	٢١٦ "	٢١٥ "
كساندر	١٩ "	٢١٥ "	٢٩١ "
فيلبس الرابع	٠.١ "	٢٩١ "	٢٩٥ "
ديمتر بومس بوليوكريتس	٠.٧ "	٢٩٤ "	٢٨٧ "
بيترس	٧ "	٢٨٧ "	٢٨٦ "

اسم الملك	مدة ملكه	اولان ملكه	اولان موته
لزيماخوس	سنة شهر ٠ ٥ ٦	سنة ق. م ٢٨٦	سنة ق. م ٢٨٠
بطلاموس كارانس			
ملياغر			
انتيباتر			
سوستينيس	٠ ٢ ٠	٢٨٠	٢٧٧
بطلاموس			
اسكندر			
پرس ايضاً			
انتيفونس غنوطاس	٠ ٤٤	٢٨٢	٢٢٩
ديمترىوس الثاني	٠ ١	٢٢٩	٢٢٩
انتيفونس دوزون	٠ ٩	٢٢٩	٢٢٠
فيلبس الخامس	٠ ٤٢	٢٢٠	١٧٨
پرسوس	٠ ١١	١٧٨	١٦٧

(١)

بلاد اليونان

ان جيوش البرابرة الغاليين الذين غشوا الديار المكدونية

وغشوا فيها مفسدين زحفوا سنة ٢٨٠ والرعب يتقدمهم لنهب

الولايات اليونانية وتدمير من تستغزه الحماية وتدفعه البسالة

والباس للقائم في ساحات القتال دفاعاً عن الوطن العزيز
وصيانة للحرية والتمدن من مخالب الوحش والخراب
تلك الجماهير المجهرة البالغ عددها حسب رواية المؤرخين
نحو مائتي ألف جندي قصدت مضيق ثرموبيلي ابواب البلاد
لتلجه وتنتشر في الاقاليم اليونانية انتشار الجراد غير ان الخوف
جدد في قلوب اليونانيين الشجاعة التي اتصفوا بها ايام كانت
جمهورياتهم زاهرة زاهية باثمار المعارف وحب الاستقلال فجهزوا
الجنود وبادروا الى ذلك المضيق فدفعوهم عنه بعد حروب
ووقعات كست الارض من دماء الابطال ثوب الارجوان
فلوى اولئك البرابرة العنان ودخلوا البلاد من المكان الذي
اجزاه كزر كزس ملك الفرس قبلاً واسرعوا الى هيككل ذلبي
ليغزوا اراضيهم وينهبوا الاموال المدخرة فيه فاوحى اذذاك الاله
الى كهنته أن اطمئئنا لاني سانتقم بيدي من هؤلاء الاقوام
الطاغين فانار عليهم لذلك جميع العناصر وجعل الارض
تفتح فاها وتبتلعهم والحبال تهتز وترميهم من قننها بالصخور
والحجارة وصب على الاولى فازوا منهم بالسلامة ناراً احرقتهم
وتركهم رماداً تذر به الرياح . هذا ما رواه اليونانيون وهو كما
لا يخفى اكدوبة نسجتها يد الجهل وزينتها قريحة الشعراء المفلقين

والمظنون ان الاهلين سكان تلك الجبال قدروا لحسن مراكزهم
الطبيعية ان يدحروهم ويهلكوهم بالسيف والبرد والجوع
قد غلب الغاليون واصبحت جنودهم بعد العز والانتصار
هباء منشوراً وزال بزوالهم عدو اليونانيين الغريب فهل نظفر
هذه الامة بالراحة والسلام ونشوق الى السكون والاتحاد لتذوق
لذة التمدن والفلاح ذلك امر آخالة مستحيلاً لانه كيف يتسنى
لها التمتع بالسلام ونار التفات في قلوب رجالها مشبوبة حتى
كان الدهرينوي حربها فاذا قضى خصم اقام بديلاً. والحوادث
على كل حال خير دليل على صحة هذا القول

بيرس : هو على زعمهم سليل اخس احد الابطال المشهورين
الذين حاصروا ترودة كار. ابوه ملكاً على ايرس فحاربه
كساندر ملك مكدونية وقتله وكان عمر بيرس وقتئذ ستين
فحملة اصدقاء ابيه واتوا به الى غلوكياس ملك احدى القبائل
الايارية فحماه هذا الملك من غضب كساندر وبعد عشرة اعوام
زحف بجيوشه الى ايرس وولاه عليها واقام له اوصياء لانه لم
يكن قد تجاوز بعد السنة الثانية عشرة من عمره

وكان كساندر يرقب الاحوال بعين بصيرة وعقل خبير
فحينما توطدت سلطنته على البلاد المكدونية والديار المجاورة لها

اغرى الايريين بخلع ملكهم الفتى فشاروا عليه وطردوه من تلك
الارحاء بعد رجوعه اليها بخمسة اعوام فهرب بيرس عاجلاً
ولجئ الى صهره ديمتريوس بن انتيغونس ورافقه في ذهابه وايابه
وشهد معه واقعة ابسس سنة ٢٠١ ق م ولقي الفرسان في ذلك
النهار وحاز بين الابطال لشجاعته شهرة عظيمة

ويلوح انه كان اولاً صادق الولاء لصهره ديمتريوس فلم
يرد ان يتركه والمصائب قد احاطت به وجرعته من رحيتها
كاساً دهاقاً بل عزم ان يشاركه في اتراحه كما شاركه في افراحه
فتبعه حينما ذهب واينما حل وقدم نفسه عنه رهينة لبطلماوس
صاحب مصر وهناك احبته برينيكى امراة الملك وزوجته
بابنتها انتيغوني من رجلها الاول وامده بطلماوس باسطول منيع
وجنود جرارة فذهب الى ايرس وقتل من خلفه وتبوأ عرش
المملكة من ثمانية سنة ١٥٢ ق م ولما كان هذا الامير قد ربي في
مهد البلايا ورضع لبان المشقات ونظر حروباً كثيرة وانتخابات
سياسية نشأ فارساً مغواراً وقائداً شجاعاً وحاكماً حكماً فاحبته
الجنود الايرية لجسارته واقدامه وانتقاد له الشعب طوعاً
لسماحه وبشاشته وكرم اخلاقه وكان مع ذلك كله طمعاً فخوراً
يود الاقتداء باسكندر الكبير وتوسيع نطاق مملكته غير باحث

عما دون مطالبه ورغائبه من الاخطار والاهوال ولقد نازل
المكدونيين وملوكهم مراراً وانتصر عليهم غير ان لزيماخوس
ملك ثراكة طرده من البلاد و اضافها الى مملكته كما علمت وفي
سنة ٢٨٠ اغار على الرومانيين في ايطاليا انتصاراً لليونانيين
سكان مدينة تريتوم فجرت بين الفريقين حروب مهولة وشهيرة
في الازمنة القديمة قد أتيت على ذكرها بالتفصيل في تاريخ
الرومانيين فليطالعها في موضعها^(١) من رام الاطلاع عليها ولما
عاد الى بلاده من الاقطار الايطالية مقهوراً ذليلاً لم يعد ليمتع
بلذة الراحة والسلام بل ليشير حروباً وفتناً جديدة وبعد ان
حارب المكدونيين والسبارطيين زحف لحصار مدينة ارغوس
فرمته امرأة من اعلى السور بحجر ومات عام ٢٧٢ في السنة
السادسة والاربعين من عمره والثالثة والعشرين من ملكه ولا
مشاحة انه كان اشجع بطل ظهر في عصره ومن احسن الرجال
الذين ملكوا في ذلك الاوان وقد سئل انيبال القرطاجني مرة
عن القواد المشهورين ففضله على نفسه وقيل انه فضله على
اسكندر ايضاً

الاتحاد الاخائي — نسبة الى اخائية وهي القسم الشمالي

(١) انظر تاريخ الرومانيين الباب الثالث الفصل الثالث

من المورة يحدها شمالاً خليج كورثنية والبحر وجنوباً أليس
واركاديا وغرباً البحر وشرقاً اقليم سيكيونية وهي اراضي ضيقة
ممتدة من الجبال الى البحر نظير اراضي فينيقية في سوريا واهلها
اتوا في الزمان القديم من تساليا الى المورة وتغلبوا على سكانها
الاصليين وبقوا خايمي الذكر ارضيت بجالتهم الى ان تجزأت
مملكة اسكندر وتوسلوا الضعف في خلفائه فهبوا من رقدة
الاهال والخبول وسعوا في الاتحاد ليتسنى لهم والليونانيين
كافة الاستقلال والحرية وحبذا ذلك المسعى لو صادف نجاحاً
تاماً ولم يوقع المتمسكين بعرويته في اضطرابات عظيمة وحروب
مهولة

ان مدينتي اثينا وسبرطا كانتا رئيستي الولايات اليونانية
وحصنها الوحيد لدى النوازل الجلي كيف لا وهما اللتان فدتا
مراراً حرية تلك الامة الشهيرة بدماء بنبيها واعلنا منار مجدها
بذكا وشجاعة رجالها العظام غير ان تباين سكانها في المشارب
والطبائع ونزاعها الدائم اورثاها الضعف والضعفة فذلنا وسقطنا
تحت نير سلطة الغرباء

تلك الانقلابات السياسية جارية ومدائن اخائية الصغيرة
متحابة ومتضامنة لاتهمها المحادثات الخارجية ولا تعباً بغير اصلاح

أحوالها الداخلية وما زالت متبعة هذه الخطة حتى حاربها فيلبس وابنة وأخرجها من عزلتها فباتت ثن من جور الغرباء ونحن إلى الاستقلال ذاكرة أيامها الماضية أيام كانت متمتعة بجزيرتها لا تعرف سلطة سوى سلطة شرائعها وعوائدها الخصوصية . ولما توالى الحروب والفتن على المملكة المكدونية وأصبحت من جرائها وأهية القوى بادر الأخائيون إلى الاتحاد وخلص قائدهم أراتوس النشيط مدينة سكيونة الكبير من ظلم الخارجى القابض على زمام أحكامها فتحكمت اذ ذاك عرى اتفاقهم وأصبحوا لاتحاد هذه المدينة قادرين على الكرو والكفاح

وكانت غاية الاتحاد الأخائي جعل الولايات اليونانية المختلفة جمهورية واحدة أو جمهوريات عديدة خاضعة لشريعة واحدة وترتيب واحد لا تفضل أحداها على الأخرى مهما كانت غنية وقادرة . ذلك ما ارتآه الأخائيون وسعى قائدهم أراتوس في تحقيقه فنسنى له معاهدة مدن كثيرة حتى ان أثينا طردت العساكر المكدونية المحتلة حصونها ودألت الأقوام المتحدين وما يجمل ذكره ويشهد لاراتوس بالمجود والشجاعة والاقدام استيلاؤه على مدينة كورثوس وتجهيزه من ماله الخاص العساكر اللازمة لافتتاح حصنها الحصين فزحف إلى

المدينة المذكورة باربعائة رجل في ليلة حالكة الاديم وارثى
 السور مع مائة شخص فقط وانقض على الحراس بغتة فقتل
 بعضهم وشتت شمل الباقيين وبينما كان ماشياً الى القلعة لقي
 اربعة حراس حاملين مصايح فاعز الى اعوانه ان يهجموا عليهم
 ففعلوا وقتلوا ثلثة منهم وفر الرابع هارباً يذيع الخبر وينبه رفقائه
 ليكونوا على حذر ويقتلوا رجالاً راموا قتلهم والفتك بهم اغنيالاً
 تحت جنح الظلام الحالك فهاجت الجنود وماجت الاسوار
 والقلعة باقدام المحاريب ورن صدر ذلك الليل البهيم
 باصوات الابطال وصليل السلاح

وبقي الثلاثائة رجل مخفيين بالغار الذي تركهم فيه
 اراتوس ينتظرون دليلاً يقودهم الى ساحة القتال لانهم كانوا
 يسمعون اصوات العساكر ولا يعلمون اين هم لسبب رجوع الصدى
 في ذلك المكان المستوعر وبينما هم جالسون مرت بهم فرقة
 مكدونية مسرعة لاعانة حراس القلعة فلم ترهم ولكنهم راوها
 وانقضوا عليها اتقضاض الصواعق فجنبدلوا بعض رجالها
 وشتتوا شمل الباقيين وفي تلك الساعة اتاهم الدليل الذي ارسله
 اراتوس ليقودهم فتبعوه ولما اجتمعوا برفقائهم تقدموا جميعاً وهاجموا
 على الاعداء هجمة الرئبال فدحروهم واستولوا على الحصون وفي

الغد جمع اراتوس الكورثيين واعطاهم مفاتيح المدينة التي كانت بيد المكدونيين منذ ايام فيلبس فسروا جداً واطهاراً لما خالج قلوبهم من حاسات الشكر رحبوا بالاخائيين وحالفوهم ولو اصاخ اليونانيون كافة لصوت اراتوس ومواطنيه لعاشوا رغداً ونخبوا من الاحن وبلايا الحروب والاستعباد ولكن الاطاع والجهل هي داء الشعوب في كل آن ومكان والانقسام لا بد منه اذا لم يكن زمام الامة بيد رئيس قادر حازم نشيط وعليه فاليونانيون لم يعرفوا قط لذة الاتحاد ما هي بل عاشوا منذ اتيج لم الوجود في نزاع دائم وقاتل مستمر فصادف الاخائيون طالبو الوفاق صعوبات عظيمة وحاربوا مراراً السبارطيين والايثولييين سكان الاراضي الواقعة تجاه اخائيه والفاصل بينهما خليج كورثوس واشهر هذه الحروب واقعة سلازيا التي حدثت سنة ٢٢١ ق

٠ م وسببها حب الرئاسة لان كلا من اراتس وكليومنس ملك سبارطا كان راغباً ان يتولى قيادة جيوش المدائن المتحدة فانتشب القتال بينهما وجرت لذلك وقعات كثيرة كان النصر في جميعها لكليومنس ولما رأى اراتس فشله وضعفه استنجد بانيغونس ملك مكدونية فبادر هذا الملك الى شبه جزيرة المورة وحارب كليومنس في مدينه سلازيا المذكورة وانتصر عليه

انتصاراً مبيناً واحتلت جنوده قلعة كورثوس وعلن نفسه
قائد الجيوش الاخائية فذل اليونانيون وخضعوا للمكدونيين
بعد ان لاح لهم بريق الاماني واوشكوا ان يتملوا الاستقلال
والحرية ويعيشوا تحت كنفها عيشة راضية

وكان في اخائية رجل زاهد اسمه فيلوبيمن من مدينة
ميغالوبوليس قد اشتهر بشجاعته وحكمته ونال في واقعة سلازيا
فخراً عظيماً لانه لم يبال بالابطال والفرسان المحيطة به من كل
جانب بل خاض عجاج الحرب كالرئبال وعاد من ساحتها وقد
دوخ الاعداء وذلل مطايا الانتصار وحدث ان اتبيغونس ملك
مكدونية لام في ذلك النهار قائد الفرسان على هجوم رجاله قبل
الوان فقال له القائد معذراً انني غير ملوم فقد ارتكب هذا
الخطأ فتى من ميغالوبوليس اسمه فيلوبيمن اجابه الملك على
الفور لا ريب ان هذا الفتى قد سلك في ما عمله سلوك القواد
العظام اما انت ايها القائد فقد سلكت سلوك الاحداث

هذا هو الرجل الباسل المفضال الذي اخاره الاخائيون
ليخلف اراتوس في الرئاسة ويتولى قيادة جيوشهم فصرف همه في
تحسين احوالهم وتحكيم عرى اتحادهم وفي سنة ٢٠٦ ق م زحف
برجاله لقتال ماخانيداس الخارجي القابض ظمأ على زمام

احكام لكديمونية والمجاهد اذ ذاك في الاستيلاء على جميع بلاد
المورة (بيلوبونيزيس) فحاربته وقتله وشتت شمل عساكره في
ملك البطاج

وما كان اللكديمونيون لينجوا بموت ماخانيداس من ظلم
حكامهم الطاغين وقساوة رؤسائهم العتاة لان نار البسالة
والحرية قد انطفأت في قلوب اولئك الاقوام واصبحوا خاملين
كأنهم ليسوا سلالة السبارطيين الشجعان فذلوا واحتملوا ما اتاه
ولا تهم من المنكرات احتمال اجدادهم الاهوال قديماً في ساحات
الحروب دفاعاً عن الاوطان وصيانة للاستقلال . وكان نابيس
الذي ملك عليهم وقتئذٍ وحشاً ضارباً لاشقة له الاعلى
الاموال فاذهم وعذبهم عذاباً بالماً واخترع آلة متحركة جعلها على
هيئة امراته وملاً ذراعيها وصدرها بمسامير رفيعة ذات رؤوس
محددة يحجبها عن الابصار ثوب فاخر تلبسه فاذا رفض احد
السبارطيين لفقره او لاسباب اخرى ان ينقده الدراهم التي
يفرضها عليه كان يقول له هذه العبارة « من الممكن انني غير
قادر على اقناعك ولكنني آمل ان امرأتي تكون اقدر مني » وفي
الحال كان ياتي بالآلة ويوقفها امام الرجل فتضمه بين ذراعيها
وتؤلمه ولا تزال قابضة عليه ودمه سائل حتى يموت او ينقده

الغرامة . ويظهر ان نابيس قد اعندى على الاخائيين فاتاه
 فيلوبومين بجيوشه كالبرق الخاطف وقهره فارتد راجعاً الى
 سبارطا ولما دخلها خرج عليه الوطنيون وقتلوه وحالفوا
 الاخائيين سنة ١٩١ ق م وكان اليونانيون قد تخلصوا من ربة
 الخضوع لملك مكدونية على اثر الحرب الرومانية وانتصار التفصل
 فلانينيوس سنة ٢٩٧ وغدوا احراراً مستقلين الا ان تلك الحرية
 كانت وهمية لان الرومانيين قد احلوا ثلاث مدائن حصينة
 محتجين انهم يقصدون بوجود عساكرهم فيها منع الفتن والانقسام
 والصحيح للاستيلاء على البلاد متى رآوا الوقت مناسباً
 وبعد ان اخضعوا اتوليا وغيرها زحفت عساكرهم سنة ١٤٦
 الى خليج كورنثوس وحاربت الاخائيين وقهرتهم وجعلت
 جميع الاقاليم اليونانية ولاية رومانية ودعتها اخائية

الفصل الاول

في مملكة سوريا

ان المملكة السورية هي اكبر الممالك التي انفصلت عن
 الدولة المكدونية وموسسها سلوقس الاول الملقب بنيكاتوراى
 الظافر وهو احد قواد اسكندر الذين اقتسموا بينهم املاك سيدهم

البطل واثاروا لاطاعهم فتناً وحروباً امتد لسان هليهما الى
 جميع الاقطار . ولقد اجمع مورخو كل الامم ما خلا الكلدانيين
 ان سنة ٢١٢ ق . م هي تاريخ ابتداء هذه المملكة المدعوة بالسلوقية
 نسبة الى سلوقس ملكها الاول الذي بعد ان تولى احكام بابل
 بضع سنوات وفرّ هارباً من انتيغونس عاد اليها في ذلك العام
 بالنصر والاقبال . ولم يزل هذا الامير في كل غزواته وغاراته
 مغالباً غالباً حتى قهر مع لزيماحوس صاحب ثراكة انتيغونس في
 واقعة ابسس واستولى على جميع املاكه في الشرق فاصبحت
 مملكته حينئذٍ كبيرة جداً تشمل على سائر الاقاليم الاسيويه
 التي افتتحها المكدونيون

ومن اخباره انه تزوج وهو طاعن في السن فتاة بديعة
 الحسن والحجال هي ستراتونيكى بنت ديمتريوس بن انتيغونس
 فاحبها واکرمها وجعل لها المقام الاول بين نساءه واصفيائه .
 ونظر ابنه انطيوخس الى محياها الباهر وقدها الفتان فعلق بها
 واصبح عشقها له شغلاً شاغلاً واذ كان لا يجسر على اظهار هواه
 وبث شكواه امرضه الحب المبرح واضناه الكتمان فحمار الاطباء
 النطاسيون في امره ولم يعرف داءه القاتل سوى طبيب بارع
 اسمه ارزستراتس الاسكندري فهذا الرجل الحاذق رأى ان

العرق البارد كان بكل وجهه وعلته تزداد في كل مرة كانت
 ربيبة ستراتونيكي تعود فعلم اذ ذاك ان داء عليه الهيام وما
 دواؤه الشافي سوى الوصال وفي الحال ذهب الى سلوقس
 وخالهبة قائلاً ان مرض ابنك الغرام ولا مطع له في الوصال
 فالمرأة التي بحبها لا تنال وزوجها لا يطلقها ابداً نعم لا يطلقها اذ
 المرأة المشار اليها هي زوجتي ولا يمكنني مفارقتها

— فسكت سلوقس برهة ثم اخذ يساله ويلج عليه ان
 يشفق من رجل في ريعان شبابه وينيله ما يتغيه

— اجابه ذلك الطبيب الحكيم لكي تدرك ايها الملك
 صعوبة ما انت راغب فيه افكر ان ابنك يحب امراتك
 ستراتونيكي فهل تطلقها لتخلصه من الموت

— قال له الملك نعم وباليك الامر كذلك

— فتمهل حينئذ وجهه اراز ستراتس واجابه على الفور
 انت وحدك طبيب ابنك القادر على شفائه وقد علمت داءه
 فبادر اليه بالعلاج

وكان الملك شديد الحب لابنه انطيوخس فطلق امراته
 ستراتونيكي وزفها اليه سنة ٣٩٢ ق.م فبرئ ذلك الفتى من علته
 حالاً وعادت القوة والعافية وقد ذكر الموزخون اليونانيون

هذا الحادث واظنوا في مدح سلوقس حتى انهم حسبوا ما اتاه
 نصرة تعدّ اعظم النصرات التي نالها في حياته

وبنى سلوقس سنة ٢٠٠ ق م مدينة كبيرة دعاها انطاكية
 تذكراً لابيهِ انطيوخس وجعلها بعد ذلك عاصمة مملكته وهي
 واقعة على ضفة نهر اورونتس (الان العاصي) في وادي جميل
 جداً طوله عشرة اميال وعرضه خمسة اوسنة ويبعد عشرين
 ميلاً عن البحر وتكتفه شمالاً وغرباً جبال امانوس (الان
 الماطاغ) وجنوباً وشرقاً جبال كاسيوس (الان جبل الاقرع)
 وآثار هذه المدينة باقية الى الان بالقرب من انطاكية الحالية
 قيل انه حينما شرع في بناءها ذبح حسب عوائد البرابرة ابنة
 عذراء لتكون لها إلهة واقية

وكان سلوقس راسباً في الاستيلاء على مكدونية كي يوسع
 بها نطاق مملكته. ويمكنه ان يصرف باقي عمره في وطنه
 العزيز فتذرع باسباب طفيفة لمعالنة لزيماخوس المحرب وسوق
 جنوده الحرارة الى ساحات الضرب والطعان فالتقى الجيشان
 سنة ٢٨٠ ق م بسهل كورس (كيروباديون) وانتشب القتال
 ونازل ملك سوريا عدوه لزيماخوس وقتله وشتت شمل
 عساكره في تلك البطاح الا انه خرب بعد ذلك بايام قليلة قتيلاً

بسيف خيانة بطلماوس كارانس احد اصدقائه وموته انتهت
رعاياه من رقدة الخمول وثار بعضهم في طلب الاستقلال
فتحررت لذلك سكان البونتس وكبادوكية وبيشينيا وبرغامس
 واصبحت جميعها ممالك يسوسها ملوك وطنيون

وخلف سلوقس على عرش سوريا ابنه انطيوخس الاول
الملقب بصوتراي المخلص لانه قهر الغاليين وخلص بلاده منهم
وملك تسعة عشر عاماً لم يحدث في اثنائها امرٌ ذوبال سوى قتاله
ملك مصر سنة ٢٦٤ وموته سنة ٢٦١ في حرب جرت بينه
وبين الغاليين

وبعده تبوأ سرير الملك ابنه انطيوخس المعروف بشيوس
اي الاله واول من دعاه بهذا اللقب سكان مدينة ميلتس لانه
قاتل وقتل تمارخوس واليهيم الذي ارسله بطلماوس ليسوس
بلاد كاريا فخرج عليه واستبد بالاحكام

وكانت الحرب قائمة بين انطيوخس والمصريين على قدم
وساق فانهز هذه الفرصة البكريون سكان بكتريا (بخارى)
والبارثيون سكان بارثيا (خوارسان) وجاهروا بالعصيان
فتسنى لهم الاستقلال واصبح ذانك الاقليمان مملكتين حرتين
فضاق اذ ذاك ملك سوريا ذرعاً وعقد مع بطلماوس صلحاً سنة

٢٢٥ من شروطه انه يتزوج بابنته برنيكي ويكون من تلمه ولي
عهده مع ان اخنه لاوديكي التي اقترن بها علناً في العام الاول
من ملكه كانت قد ولدت له غلامين . ولما مات بطلموس
وزال خوفه من قلب انطيوخس هب هذا الملك برنيكي ونقض
العهد مجرمه ابنها حقوق الملك بعده فغضب من فعله اخوها
ايرجنس وبادر اليه بالخييل والرجل وكانت لاوديكي مشفقة
من ولديها وخائفة ان تدور عليها الدوائر فخرجت زوجها سماً
زعا فاذابت انه مريض ومشرف على الموت واضمجت في
فراشه رجلاً يونانياً يشبهه اسمه ارتامون وامرته ان يوصي بالملك
لابنها سلوقس ففعل ثم ارسلت نفراً قبضوا على برنيكي وولدها
وقتلوهما مع كثيرين من اعوانهما المصريين سنة ٢٤٦ ق م وانتشبت
لذلك حرب مهولة بين بطلموس ايرجنس ملك مصر وسلوقس
الثاني ملك سوريا الملقب بكالينيكوس اي الظافر الجميل كانت
نتيجتها استيلاء الاول على قسم عظيم من سوريا وقتل
لاوديكي عدوته وام خصمه وكان ما حدث من المعارك
والخطوب لم يكن كافياً لحراب البلاد حتى قام سلوقس واخوه
انطيوخس يتنازعا الملك ويشيران حرباً عواناً وفتناً اهلية
احدمت نارها في جميع اقطار المملكة وكادت تذهب بها

وبأهلها الى دركات النذل والخيول . ودام القتال بين هذين
الاخوين ثلثة اعوام ولم يتيه الا بانتصار سلوقس انتصاراً تاماً
وفرار انطيوخس الى مصر حيث اقام اسيراً ثلث عشرة سنة
وقتلته وهو هارب الى سوريا بعض العربان الغزاة

ومات سلوقس سنة ٢٢٦ ق م في ارض بارثيا وسبب
ذلك انه اراد اخضاع تلك الامة القوية الباسلة فحاربته وقهرته
مراراً واخيراً قبضت عليه واعتقلته وبقي في بلادها حتى
ادركه الحمام فخلعه ابنه سلوقس الثالث الملقب بكارانوس اي
الصاعقة وهو امير خامل ضعيف وقد لقبوه بالصاعقة سخرامنه
وفي سنة ٢٢٢ ق م قتلته بعض اجناداه فجلس على السرير
انطيوخس الثالث المعروف بالكب.

ان هذا الامير لا عظم واشجيه ملك تبوأ عرش سوريا بعد
سلوقس مؤسس المملكة وقد حقق له ان يدعى بالكبير لانه فاق
بشجاعته واصالة رأيه في اكثر الاحوال جميع سلفائه وخلفائه
وكفانا دليلاً على ذكائه واقدامه ما اتاه من الحكمة وفصل
الخطاب لتوطيد سلطته على بلاد وسع نطاقها بعد ان كاد
يفقدها من جراء الثورات وانقسام الروساء لاسبامكر ودهاء
وزيره الاكبر ارمياس الذي كان جاهدًا في زرع الفتن الاملية

وتكثير الارتبكات الداخلية ليسلب الملك اميراً حتى كان
 يحسبه غراً ولست انكر انكسار انطيوخس مراراً في الحروب
 المهولة التي اضرم ناراها وعوده بالذل والفشل من قتال
 الرومانيين الابطال غير ان ذلك الانكسار لا يحبط قدره
 وانما يعرضه للملامة لا اعتراضه امة قوية سادت بياسها وبسالتها
 وقهرت اقوى الشعوب في الزمان القديم

وكان سكان ماديا وفارس مشهورين راية العصيان فاشار
 عليه وزيره الاكبر ارمياس ان يبعث بالجنود اللازمة لقتالهم
 ويزحف هو لمحاربة ملك مصر والاستيلاء على كليسيريا (سهل
 البقاع) ففعل وعاد من غارته مقهوراً ذليلاً ولا يخفى ما في
 هذه المشورة من الخطأ لانه عاى اميراً كان الاجدر به
 استرضاءه حتى يتمكن من قمع الثائرين الذين استغل امرهم في
 تلك الارجاء ولكن لارمياس مناصد شريرة كان يسعى في
 تحقيقها ولو بخراب البلاد

وعلم انطيوخس بعد كسرتة خيبت ومكر وزيره فجهز فرسانه
 وابطاله وذهب لقتال العصاة فاخضعهم وقفل راجعاً الى عاصمته
 ظافراً مسروراً وكان ارمياس عاملاً على قتل من رآه من
 اعوان الملك صادقاً اميناً فتفاقت شروره وظهر مكره وكان

ذلك سبب هلاكه

ولما استتب الامر للملك نشط للحروب والفتوح واستولى
 بخيانة احد القواد المصريين على سهل البقاع واقليم فينيقية
 وفلسطين فوقعت الوحشة بينه وبين بطلموس صاحب مصر
 واخذ كل منهما في الاستعداد للقتال . فالتقى الجيشان سنة ٢١٨
 بالقرب من مدينة رافيا وبعد مناوشات كثيرة جرت معمرة
 عظيمة انتصر فيها بطلموس على خصمه واكرهه على تخلية البلاد
 التي اقتحمها اخيراً ولكنه استرجعها سنة ٢٠٢ ق م حينما حالف
 فيلبس ملك مكدونية وعول معه على اقتسام المملكة المصرية
 وكانت افسال ارمياس المنكرة قد اثارت في قلوب بعض
 الروساء بغض انطيوخس فرفع اخياس احد الولاة راية العصيان
 ولما استفحل امره جمع الملك العساكر والفرسان وزحف لقتاله
 فحصره في مدينة سرديس التي استولى عليها عنوة بعد حصار
 دام سنتين واماته شرميته وعلق جثته على الصليب لتكون
 للناس والعصاة عبرة وذكرى

ولم يكن انطيوخس من الاولى يرغبون في الملك ليقضوا
 العمر غارقين ببحار الملذات والسرور بل كان دأبه شن الغارة
 على الامم المجاورة لبلادته لتوسيع نطاق مملكته واعلاء منار

مجدد في سائر الاقطار . فجهز جيشاً عرمرماً سار به سنة ٢١٤ ق . م الى اراضي بارثيا وبكتريا فقهروا ملكيها في جميع المعامع التي حدثت وعاد الى بابل سنة ٢١٤ ومعه من الاسلاب والغنائم

ما لا يحصى

ولم يزل هذا الملك القادر سالكاً سبل الاطاع سائراً في مناهج الفتوح والفلاح حتى اخضع جميع المدائن المستقلة في آسيا الصغرى واستولى على قسم كبير من البلاد الاوربية ووطد سلطته على تلك الاقاليم الواسعة الشاسعة بمجنوده الجرارة وسفنه الكثير المتجولة في البحر المتوسط فوقع خوفه في قلوب سائر الامم المجاورة وكان بعضهم محالفاً للرومانيين والبعض الآخر قد استجار بهم فاجاروه وطلبوا الى انطيوخس ان يكف اعتدائه ويضع لمملكته حدوداً لا يتعداها فاعارهم اذنأ صماء واخذ يستعد للفنال عملاً بنصيحة انيبال القرطنجي الشهير الذي فرّ هارباً من بلاده ولجئ اليه فرحب به واحله محلاً عالياً

واشار عليه ذلك القائد القرطنجي العظيم ان يجعل ساحة القنال في الديار الايطالية لبوقع اعتدائه في الارتباك والانقسام وسائه ان يقلده قيادة الجيوش التي يمكنه ارسالها لانه خاض عجاج الحروب في تلك الارجاء ستة عشر عاماً وجال بها طولا

وعرضاً فاصح خبيراً بمواقفها علماً بطباع واميال - الاقوام
 الساكنين فيها فلم يرضخ انطيوخس لمشورته الحكيمة بل سار سنة
 ٩٢ ق م بعشرة الاف راجل وخمسمائة فارس وستة افيال الى
 بلاد اليونان ليملكها ويساعد الابطوليين على الرومانيين
 فالتقاه الابطوليون بالترحاب والاکرام واقاموه قائداً عاماً
 لجنودهم

ورأى الرومانيون الاخطار المحيطة بهم وادركوا مادون
 نجاح انطيوخس من الاضرار لمصالحهم في الشرق وعلموا ان
 الحرب ضرورية لابد منها فاستعدوا لها وارسلوا في الحال
 جنودهم الى بلاد اليونان وفي سنة ٩١ ق م التقى الفريقان
 بالقرب من مضيق ثرموبيلي وانتشب القتال وكان مهولاً
 وانكسرت في ذلك النهار عساكر انطيوخس وفر هذا الملك
 هارباً الى افسس يطلب النجاة

وكان انطيوخس جاهلاً بطباع الرومانيين واطاعهم
 فظنهم بعد هزيمته سيتركونه وشأنه ويرحلون ولقد فاتته ان
 تلك الامة العظيمة المجاهدة دائماً في توسيع نطاق املاكها
 بالمشرقين لتدفع بأسباب طفيفة لا تارة الحروب وارقة الدماء
 توصلاً لما تنبغيه اولعل الكبير قد اضعف بصيرته وبصره فاصبح

غير قادر ان يدرك عظم الاخطار وان ينظر عن بعد جيوش
 الرزايا المقبلة ولكن انيبال القرطنجي الحكيم نبهه من رقدة اهاله
 وحرضه ان يتخذ الوسائل اللازمة لرد غاراتهم على بلاده
 الاسيوية فاتتبه لحالته التعيسة وسعى في تجهيز الجنود وتحصين
 الحصون وفي السنة التالية جرت بين الفريقين حروب مهولة
 ومعارك كثيرة برًا وبحرًا انتصر الرومانيون في جميعها انتصارًا
 تامًا وإجبا وأعطى انطيوخس لعقد الصلح بالشروط الآتية

اولاً: تجلو جنوده عن المدائن الاروبية التي ملكها
 والاراضي الواقعة وراء جبل طورس ولا يسوغ له ابداً ان يشن
 الغارة على تلك الديار

ثانياً: يتقد الرومانيون خمسة عشر الف وزنة آبية (نحو
 مليونين وتسعمائة وستة الاف ومائتين وخمسين ليرة انكليزية)
 يدفع خمسها عاجلاً والاربعة اخماس بمدى اثنتي عشرة سنة

ثالثاً: يعطي الرومانيون افياله وكل سفنه الحربية ما خلا
 عشرًا ويسلم اليهم انيبال القرطنجي

رابعاً: يرسل الى رومية رهائن عشرين رجلاً من جملتهم
 ابنه انطيوخس

وكانت الحروب التي اثارها في السنين الماضية قد

استهلكت جميع امواله فبات غير قادر ان ينقد الرومانيين
الدرهم التي اتفقوا عليها . وكان من عوائد القدماء ان الحكومة
والاغنياء يدخرون ما يملكونه من لجيت ونصار في الهياكل
الكبيرة فذهب انطيوخس سرّاً مع بعض اعوانه الى هيكل عظيم
باقليم اليمائس في بلاد فارس لينهب النقود المخزونة فيه فابتدر
اليه الحراس بالعصي والسلاح وقتلوه سنة ١٨٧ ق م وتبوء
عرش سوريا بدلاً منه ابنه البكر سلوقس فيلوباتور وهو رجل
خامل لم يات امرأ ابذكر سوى ارساله سنة ١٧٦ خازنه
اليودوروس لينهب هيكل اورشليم وقد ذكر علماء اليهود انه
حينما رام هذا الوزير الدخول الى الهيكل خاف وارتحف وسقط
على الارض لاهراك له فاقامه رئيس الكهنة وارجعه الى من بعثه
صفرا ليدين وفي سنة ١٧٥ ق م مات سلوقس مسموماً فخلفه
اخوه انطيوخس الرابع الملقب بابيفانس اي الشهير او الاغر
وهو امير ظالم عاتٍ يحسب الناس بهائم دنيئة خلقت لخدمته
ويحب الاموال حباً شديداً كأنه خلق لعبادتها . وفي سنة
١٧١ اشق الغارة على الديار المصرية وبعد حروب مهولة دامت
اربعة اعوام كاد يملك بها ذلك القطر الخصب ارسل اليه
الرومانيون سفيراً يأمرون ان يكف القتال ويرجع الى بلاده

فامثل لامرؤ طائعا وعاد الى عاصمته بخفي حنين . وكان في هذه
الاثناء صارفا همه لاختلاس اموال رعاياه بطرق لم يسبقه اليها
احد من سلفائه وذلك انه اراد تغيير اديان الشعوب الخاضعين
له وكراههم على التدين بدينه واعطاه ما تحوي هياكلهم من
من النشود والاشياء الثينة فانقاد لاوامره كثيرون والذين
عصوه سامهم خسفا واذاقهم عذابا اليما ولما كان اليهود شديدي
التمسك بدين اجدادهم وكانت الفن الاهلية قائمة في بلادهم
على قدم وساق اتاهم مسرعا وقبض عليهم فقتل واسر منهم نحو ثمانين
الف نفس واخذ من هياكلهم ما تبلغ قيمته ثلثة ملايين ليرة
انكليزية . ووضع فيه تمثال إله اليونانيين واظنه تمثال جوبيتر
وجعل عقاب من لا يسجد له الموت الزوام فوات عدد عديد
بالنار او بعدابات اخرى نفسع منهم الابدان غير ان افعاله هذه
المنكرة اضرمت في قلوب هؤلاء الاقوام التعتساء نار الحمية
والشجاعة فجهزوا الجنود وحاربوا ملوك سوريا مدة ستة وعشرين
عاما ونالوا الحرية والاستقلال بمساعدة قوادهم المكابيين
الابطال . وكان الفرس قد ضاقوا ذرعا من مظالمه ورفعوا راية
العصيان فذهب لمحاربتهم فحاربوه والجأؤ سنة ١٦٤ الى
الرجوع مقهورا ذليلا وبينما كان سائرا سقط من مركبته وجرح

جراحاً بليغة مات من جرائها في قرية صغيرة اسمها تالي واقعة
 عند طرف جبال زاغروس (هي جبال في اراضي كردستان
 ولورستان) وقد نسب بعض المؤرخين اليونانيين موته الى
 غضب الآلهة لانه انتهك حرمتها ونهب اموالها وقال اليهود ان
 الله قد سخط عليه واماته شرميته لكونه عذب شعبه الخاص
 ودنس هيكله المقدس في مدينه اورشليم ووسع هذا الملك
 مدينة حماه الواقعة على ضفة نهر اورونتس (اي العاصي)
 ودعاها ابيفانيا نسبة الى لقبه ابيفانوس

وكانت بعد موت انطيوخس ابيفانوس الفتن الاهلية
 لسبب نزاع الامراء الراغبين في الملك وتوالى على عرش المملكة نحو
 عشرين ملكاً في مدة مائة سنة فقليلة فلزيادة الايضاح وخوفاً من
 ملل القارىء نورد اسماءهم بالترتيب ونذكر ما فعلوه بالاختصار
 — (١) انطيوخس الخامس الملقب بابوباتور ابن
 انطيوخس ابيفانوس خلف ابيه وله من العمر تسع سنوات وبعد
 ما ملك سنتين خلفه وقتله ديمتريوس صور سنة ١٦٠ ق م

— (٢) ديمتريوس الاول الملقب بصوترا بن سلوقس
 الرابع فيلوباترو وحفيد انطيوخس الكبير ارسله ابوه وهو صغير
 الى رومية وبقي فيها الى ان مات انطيوخس الرابع ابيفانوس

حينئذ فرّ هارباً الى سوريا لان المجلس الروماني حضر عليه
الذهاب لهنالك ولما وصل الى البلاد قبض على زمام الاحكام
وقتل انطيوخس اوباتور مع وصيه

— (٣) اسكندر بالاس هو رجل من عائلة دنيئة ادعى انه

ابن انطيوخس الرابع ايفانس وملك سنة ١٥٠ ق م بعدما
قهر وقتل ديمتريوس صوتر

— (٤) ديمتريوس الثاني الملقب بنيكتاتور ابن ديمتريوس

صوتر قدّر بمساعدة ملك مصر على استرجاع المملكة سنة ١٤٦

ولما كان سلوكه رديئاً خرج عليه الشعب وطرده تريفون من

البلاد وملك عوضاً عنه ابن اسكندر بالاس الطفل فذهب

ديمتريوس اذ ذاك لمحاربة البارثيين فحاربهم ووقع بيدهم اسيراً

غير ان متريدات ملك بارثيا احبته واعنته وزوجه بابتته

رودوغين وفي سنة ١٢٨ مات ملك سوريا في حرب جرت بينه

وبين البارثيين فقبض ديمتريوس مرة ثانية على زمام احكام

البلاد وفي ذلك الاوان شن الغارة على الديار المصرية فانكسر

وفرّ هارباً الى مدينة صور فقتلته هناك امراته كليوبترا لانها

كانت حاقدة عليه لتزوجه برودغين البارثية

— (٥) انطيوخس السادس الملقب بشيوس نصبه تريفون

ثم خلعه وقتله سنة ١٤٢ ق م

— (٦) تريفون ديودتس خلع ديمتريوس الثاني وملك
انطيوخس السادس ثم خلع هذا وتبوا عرش المملكة الى ان
قتله انطيوخس سيداتس اخو ديمتريوس

— (٧) انطيوخس السابع الملقب بسيداتس نسبة الى
مدينة سيدئي (هي خراب بالقرب من اسكي اداليا) خلع وخلف
تريفون سنة ١٢٧ وتزوج كليوبترا امرأة اخيه ديمتريوس نيكاتور
ومات سنة ١٢٨ في حرب جرت بينه وبين اليارثين فخلفه اخوه
ديمتريوس كما تقدم القول تحت عد ٤

— (٨) سلوقس الخامس ابن ديمتريوس الثاني تبوا عرش
المملكة حينما بلغه موت ابيه غير ان ان كليوبترا التي قتلت اياه
قتلته ايضاً لكونه ملك بلا اذنها

— (٩) انطيوخس الثامن الملقب بغريس اي ذي الانف
الاعوج هو ابن ديمتريوس نيكاتور ملك سنة ١٢٥ ق م وقتل امه
كليوبترا سنة ١٢٠ لانها ادمت على توليته وارادت يوماً قتله
فاستحضرت سما وضعت في شراب وقدمته له حين رجوعه من
الصيد اما هو فعوضاً عن ان يشرب الشراب المذكور سقاها اياه
وخلص الناس من شرورها وبعد ذلك حدثت حرب بينه

وبين اخيه كيزيكانس كانت تتبعها اقتسام الاخوين المملكة
بينهما فاستولى كيزيكانس على فينيقية وسهل البقاع واخذ
غريس الاقاليم الباقية الا انه مات قتيلاً سنة ٩٦ ق م

— (١٠) انطيوخس التاسع الملقب بكيزيكانس نسبة الى
مدينة كيزيكس هو ابن انطيوخس السابع وكليوباترا ملك على
البقاع وفينيقية من سنة ١١٢ الى ٩٥ و قتل في حرب جرت بينه
وبين سلوقس ابيفانس

— (١١) سلوقس السادس الملقب بابيفانس ونيكاتور
اكبر اولاد انطيوخس غريس تبوأ عرش المملكة سنة ٩٥ ق م
وقتل عمه انطيوخس كيزيكانس فحاربه انطيوخس اسيس
بن كيزيكانس وطرده من سوريا ففر هارباً الى مدينة موبسيستا
(المصيصة) وقبض على زمام احكامها الا انه لسبب ظلمه خرج
عليه اهل المدينة وحرقوه

— (١٢) انطيوخس العاشر الملقب باسييس هو ابن
انطيوخس كيزيكانس قهر سلوقس ابيفانس الذي قتل اباه
وجلس على عرش المملكة سنة ٩٥ ق م

— (١٣) فيلبس بن انطيوخس غريس ثار اباه مع اخيه
انطيوخس الحادي عشر وحارب انطيوخس العاشر

— (١٤) ديمتريوس الثالث ايكورس ابن انطيوخس
غريس قبض مع احيه فيلبس مدةً على زمام احكام سوريا
الانهما تنازعا السلطة بعد ذلك وثقاتلا فاسر ديمتريوس
وأرسل الى بلاد بارثيا ومات هناك

— (١٥) انطيوخس الحادي عشر ابيفانس ابن انطيوخس
غريس غرق في نهر العاصي وهو بجارب انطيوخس اسيس
— (١٦) انطوخس الثاني عشر ديونسييس اخو انطيوخس
الحادي عشر ملك بعض ايام ومات في حرب جرت بينه
وبين العرب

— (١٧) تيغرانس ملك ارمينيا. وحدث ان السوريين
ملؤا الحروب وارادوا التمتع بالراحة والسلام فملكوا عليهم تيغرانس
المذكور الذي اضاف سوريا الى بلاده سنة ٨٢ ق.م وبقي مالكا
عليها الى سنة ٦٩ ق.م حينما قهره الرومانيون

— (١٨) انطيوخس الثالث الاسيوي ملك بعد تيغرانس
وبقي قابضا على زمام الاحكام الى سنة ١٥ حينما دخل بومبياس
سوريا وجعلها ولاية رومانية

بيان اسماء ملوك سورية ومدة ملك

كل منهم

اسم الملك	لقبة مدة ملكه	اوان ملكه	اوان خلعه او موت
سلوقس الاول	نيكاتور ٢٢	سنة ٢١٢ ق م	سنة ٢٨٠ ق م
انطيوخس الاول	صوتر ١٩	سنة ٢٨٠ ق م	سنة ٢٦١ ق م
انطيوخس الثاني	ثيوس ١٥	سنة ٢٦١ ق م	سنة ٢٤٦ ق م
سلوقس الثاني	كاليينيكوس ٢٠	سنة ٢٤٦ ق م	سنة ٢٢٦ ق م
سلوقس الثالث	كارانس ٠٢	سنة ٢٢٦ ق م	سنة ٢٢٢ ق م
انطيوخس الثالث	الكبير ٢٦	سنة ٢٢٢ ق م	سنة ١٨٧ ق م
سلوقس الرابع	فيلوباتور ١٢	سنة ١٨٧ ق م	سنة ١٧٥ ق م
انطيوخس الرابع	ايفانس ١١	سنة ١٧٥ ق م	سنة ١٦٤ ق م
انطيوخس الخامس	اوباتور ٠٣	سنة ١٦٤ ق م	سنة ١٦٣ ق م
ديمتريوس الاول	صوتر ١٢	سنة ١٦٣ ق م	سنة ١٥٠ ق م
اسكندر بالاس	٠٥	سنة ١٥٠ ق م	سنة ١٤٦ ق م
ديمتريوس الثاني نيكاتور	}		سنة ١٤٦ ق م
انطيوخس السادس			
تريفون			
انطيوخس السابع	سيدانس ٩	سنة ١٢٧ ق م	سنة ١٢٨ ق م
ديمتريوس الثاني	نيكاتور	سنة ١٢٨ ق م	سنة ١٢٥ ق م
مرة ثانية			

اسم الملك	لقبة	مدة ملكه	اوان ملكه	اوان خلعه او موته
	سنة	سنة	سنة	سنة
سلوقس الخامس		١٢٥	" "	١٢٥
انطيوخس الثامن غريبس		١٢٥	" "	٩٥
انطيوخس التاسع كيزيكانس				
سلوقس السادس				
انطيوخس العاشر ابسبس				
فيلبس				
ديمتريوس الثالث ايكاروس				
انطيوخس الحادي عشر ايفانوس				
انطيوخس الثاني عشر ديونيس				
تيغرانس ملك ارمينيا	١٤	٨٣	" "	٦٩
انطيوخس الثالث عشر الاسيوي	٤	٦٩	" "	٦٥

الفصل الرابع

في

الممالك التي انفصلت عن الدولة المكدونية السورية

(١)

بارثيا وخورسان

هي بلاد واقعة الى الجهة الجنوبية الشرقية من بحر قزوين
استقلت سنة ٢٥٠ على يد ارساكس ملكها الاول واستولت
ملوكها بعد ذلك على اقليم بكتريا (بخارى) واخضعت جميع

القبائل الساكنة بين نهر الفرات ونهر الهند وبين الاوفيانوس
 الهندي ونهر اوكسس (جيحون) وبقيت هذه المملكة مستقلة وقادرة
 ان تحارب الرومانيين وتردهم بالذل والفشل الى ان سرت
 روح الانقسام وحب الرئاسة في صدور امراءها فضعت ومهدت
 اطماع روسائها سبل خضوعها للغرباء فاستولى عليها تراجان
 سلطان رومية سنة ١١٦ ب م ولكنها استقلت بعد موته وفي
 سنة ٢٢٦ ب م افتتحتها الدولة الساسانية و اضافتها الى مملكة
 فارس

(٢)

برغامس

هي مدينة في اقليم ميسيا (الان خان كرزي وهو القسم
 الشمالي الغربي من بر الاناضول) كانت صغيرة جداً فكبرها
 وحصنها لزيماخوس صاحب ثراكة وولى عليها فيلتياروس ولما
 حارب سلوقس ملك سوريا لزيماخوس واستولى على بلاده
 عصاه فيلتياروس وأسس سنة ٢٨٠ مملكة برغامس التي
 وصلت الى شأ ومجدها سنة ١٩٠ ق م حينما قهر الرومانيون
 انطيوخس الكبير ومنحوا ملكها ايمانوس الثاني كل اقليم ميسيا
 وليديا وفرجيا الكبرى والصغرى وليكاونيا (قسم من كارامان)

وبيسيديا وبامفيليا (اداليا) وفي ذلك الاوان بنيت مكتبتها
 الشهيرة واكتشف اهلها طريقة عمل الرق وهو جلد رقيق
 يكتب فيه ودعوها «خارتا برغامينا» اي ورق برغامس ومن
 هذه اللفظة اخذ الفرنسيون كلمة «بارشمان» والانكليز
 ربارتشت «للورق المذكور. وبقيت هذه المملكة مستقلة الى
 حين وفاة ملكها اطالوس الثالث الذي اوصى بها للرومانيين
 بعد موته فاستولى عليها القوم المشار اليهم سنة ١٢٠ وجعلوها
 ولاية رومانية ودعوها الولاية الاسيوية

(٣)

بيثينيا

هي اقليم في اسيا الصغرى بمحدها شمالاً بحر الاسود وجنوباً
 فرجيا ابيكتانس وشرقاً بافلاغونيا وغرباً ميسيا انفصلت عن
 المملكة السورية سنة ٢٧٨ ق م وبقيت مستقلة الى حين موت
 ملكها نيكوميديس الثالث الذي اوصى بها للرومانيين فاضيفت
 سنة ٧٤ ق م للولاية الاسيوية

(٤)

● لاطية

هي القسم الشرقي من الاناضول والغربي من ارض الروم

دعيت غلاطية نسبة الى الغاليين الذين سكنوا فيها بعد ان
غزوا البلاد المكدونية وما يجاورها وجعلت ولاية رومانية
سنة ٢٥ ق م

(٥)

البونتس

هي البلاد الواقعة عند سواحل بحر الاسود شرقي نهر اليس
الان قزل ارمق او النهر الاحمر استقلت قبل موت انتيغونس
حينما كان خلفاء اسكندر منهمكين في الحروب والفتن الاهلية
ووسع ملوكها بعد ذلك نطاقها بان اضافوا اليها بعضاً من
الاقاليم المجاورة واشهر هؤلاء الملوك متريدات السادس او الكبير
الذي قبض على زمام الاحكام وهو غلام وحارب الرومانيين
زماناً طويلاً وانتصر عليهم مراراً الا ان بومبايس وغيره من
القواد الرومانيين قهروه في مواقع عديدة وحدث ان ابنه
فارناسس خرج عليه وسلبه الملك فضاقت متريدات ذرعاً
وانتحر سنة ٦٢ ق م (١) وجعلت البلاد بعد موته ولاية
رومانية

(١) انظر قصة متريدات بالتفصيل في تاريخ الرومانيين الفصل الرابع
والسادس من الباب السادس

(٦)

كبادوكية

هي بلاد في آسيا الصغرى واقعة الى الجهة الشرقية من نهر
 أليس (قزل ارمق او النهر الاحمر) والجهة الشمالية من جبال
 طورس استولى عليها المكدونيون حيناً من الزمان ثم استقلت
 سنة ٢١٥ ق م على يد ملكها ارياراتس الثاني وفي سنة ١٥٠
 ب م سبى طيباريوس قيصر ارضه خلاوس اخر ملوكها في رومية
 وجعل البلاد ولاية رومانية

(٧)

ارمينيا

هي بلاد واقعة بين آسيا الصغرى وبحر قزوين يخرج منها
 نهرا الفرات والدجلة ويقسمها الاول الى قسمين غير متساويين
 يدعيان ارمينيا الصغرى وارمينيا الكبرى قد استقلتا سنة ١٩٠
 ق م على اثر انكسار انطيوخس الكبير ملك سوريا واستولى
 الرومانيون سنة ٧٥ ب م على ارمينيا الصغرى وجعلوها ولاية
 رومانية اما ارمينيا الكبرى فبقيت مستقلة الى سنة ٢٢٦ ب م
 وفي ذلك الاوان اغار عليها الشاه اردشير الفارسي فافتحمها
 وازافها الى سلطنته الواسعة

(٨)

بلاد اليهود او فلسطين

هي قسم من سوريا واقعة بين بحر المتوسط وجبال لبنان ونهر الاردن وبحيراته خرج اهلها سنة ٦٧ ق م على انطيوخس ابيفانس وقدروا ان ينالوا الاستقلال بمساعدة بعض ررساء كهنتهم المدعويين بالمكابيين نسبة الى يهوذا المكابي قائد هم الاول بعد موت ابيه ماتيئاس وقبض المكابيون على زمام الاحكام اثناء الاستقلال وبعده واول رجل منهم دعي ملكا هو ارستوبيلوس الذي تبوأ عرش المملكة سنة ١٠٦ ق م وبقي المكابيون مالكيين على بلاد اليهود الى سنة ٤٧ ق م حينما خلع يوليوس قيصر اركانس وارستوبولس وولى بدلاً منها انتيباتر الادومي ابا هيرودس الكبير ومع ان اليهود كانوا خاضعين للرومانيين او مقربين بسيادتهم منذ اتي بومبايس الى الشرق وافتتح اورشليم سنة ٦٣ ق م لم تجعل بلادهم ولاية رومانية الا في سنة ٧ ب م حينما خلع اغسطوس قيصر ارخلاوس بن هيرودس وارسل اليهم والياً من قبله

الفصل الخامس

في مملكة مصر

ان بطلماوس صوتر ملك مصر الاول هو ابن ارسنوي سرية فيليبس المكدونى ورجل دنيء اسمه لاغوس قبض على زمام احكام الديار المصرية حينما اقتسم اعوان اسكندر الكبير بينهم تلك المملكة الواسعة وفي سنة ٣٠٦ ق م اعلن نفسه ملكاً اقتداءً بولاة الولايات الاخرى. وقد ظنه البعض ولا سيما الجنود انه ابن فيليبس نفسه فلم وصحت هذه الرواية لكان افضل امير يحق له ان يتولى ادارة المملكة مدة طفولية اسكندر اغس ولكنه اثار في كل حال سياسة اقليم شاسع خصيب يمكنه صيانتة من غدر واطماع رفقاءه على ان يكون رئيساً عاماً وليس له من الحكم والسلطة نصيب

وكان لليونان قديماً مستعمرات في سواحل افريقيا الشمالية باقليم كيرينيكيا الان درنة او جبل الاخضر وهو القسم الشمالي الشرقي من طرابلس الغرب وموقعه بين جون سدره وجون بومبه. قال العارفون وذلك المكان من اجمل الاقاليم واحسنها هواءً وترتة ومعظم ارضه مرتفع عن البحر وامتد اليه بانحدار بديع فهناك ترى العيون والمجداول متدفقة من الروابي والاكمام

ومتسلسلة في المروج والغياض فتكسب سائتيهما من النبات ثوباً
 اخضر بهياً وتزيد جناتها الفيحاء حسناً وجمالاً واذا هبت عليها
 من الصحراء ريح حارة تردها الجبال العالية وتبردها نسائم الهواء
 الشمالي فالى هذا القطر الخصيب طمعت ابصار بطلموس ولما
 استتب له الامر جهز جنوده وافتتحه سنة ٢١٢ اي في السنة
 الاولى من ملكه على الدار المصرية وفي العام الثاني استولى على
 فينيقية وفلسطين وطرد اليها الذي اقامه انبياسر غير ان
 اليهود لم يخضعوا له سرّاً بل حاربوه وصموا ان يردوه
 بالحربة والفشل فاتاهم وساء احوالهم في اورشليم مدة طويلة ودخلها عنوة
 في يوم السبت بينما كانوا من كبن في العبادة والصلوة ثم ارتد
 راجعاً الى مصر وقد احتل معه مائة الف يهودي فرقم في
 البلاد وسمح لهم ان يعملوا بالراحة والسلام متمتعين بحريتهم
 وحقوقهم المدنية .

وكان هذا الملك الحكيم صار فاهمة في توطيد سلطته
 وتوسيع نطاق مملكته منوها فيها اركان الممارف والعلوم
 ومنشطاً بمواهبه واجتهاده طلبة العلم واهله فبنى لذلك مكتبة
 الاسكندرية الشهيرة التي بلغ عدد كتبها في اواخر ايام البطالسة
 سبعة الاف مجلد وشاد داراً للتحف وهي اول دار شادها

البشر لهذه الغاية وبني أربع مدارس الأولى منها للمناظرة والبحث
والثانية للهندسة والثالثة لعلم الفلك الحقيقي والرابعة للتشريح
والطب وفي عهده نبغ عدة فلاسفة وشعراء مفلقين وجملة
القول أنه كان أحكم وأبرع أمير خلف أسكندر الكبير وكانت
وفاته سنة ٢٨٥ ق م وتبوأ عرش المملكة بدلاً منه ابنه بطلموس
الثاني فيلادلفس أي المحب أخوته

ولم يكن فيلادلفس باقل نشاطاً وغيره على العلم من
أبيه فإنه أوصل مصر إلى أوج المجد والفخار وجعلها محط ركائب
الفلاسفة والعلماء والتجار من سائر الاقطار ووطد شوكته
بحكمته الفاتنة وجنوده الكثيرين البالغ عددها مائتي ألف رجل
وأربعين ألف فارس وكان له ثلثمائة فيل وألف مركبة حربية
واسلحة وآلات للحصار لا تحصى مع سفن عديدة قوية وأموال
وافرة قبل أنه ترك بعد موته سبع مائة وأربعين ألف وزنة مصرية
وهي أكثر من مائة وتسعين مليون ليرة إنكليزية وكانت مملكته
واسعة جداً ومشملة على القطر المصري وسواحل أفريقيا
الشمالية وفينيقية والبقاع وبلاد كليكية وما يجاورها
ولا ريب أنه كان محباً للتجارة والفنون حريصاً على صيانة
مصالح رعاياه وعاملاً على توفير أسباب نجاحهم وخيرهم ودليل

ذلك الاعمال العظيمة التي باشرها والتي يبقى ذكرها الى الابد
مثلاً الاجتهاد وحسن السياسة والاقدام من جملتها حفرة ترعة
واسعة وصل بها البحر الاحمر بالنيل ففتح طريق الهند وبلاد العرب
للاوربيين لان السفن كانت تجتاز من البحر المتوسط الى البحار
الجنوبية بواسطة نهر النيل ولا تنفى عن اللبيب فائدة هذا
المشروع الجليل الذي اقدم عليه كثيرون من ملوك مصر القدماء
ولم يمكنهم اتمامه . ويظهر ان التربة المذكورة قد أهملت بعد
موت فيلادفوس فخربت وبقي سكان اوربا والاقاليم الشمالية
كانهم مفصولون عن البلاد الهندية لا يستطيعون الوصول
اليها الا بشق الانفس حتى اكتشف ارباب السياحات طريق
راس الرجا الصالح وحفر فرديناد دلبس المهندس الفرنسي
الحخير برزخ السويس فخرج البحرين وحقق اماني طالما عدها
الناس من الامور المستحيلة

روى بعض مورخي اليهود ما مفاده ان بطلموس
فيلادفوس سمع بالتوراة وكتب اخرى مقدسة واراد ترجمتها الى
اللسان اليوناني فارسل اليه رئيس الكهنة توراة مكتوبة بماء
الذهب مع اثنين وسبعين عالماً ترجموا الكتب المذكورة
وترجمتهم هذه هي المدعوة بالسبعينية

وما زال هذا الملك راقياً منارج التمدن وانفلاج حتى
ادركته المنية سنة ٢٤٧ ق م فتوارش الملكة ابنة بطلموس
الثالث الملقب بارجنس ابي الكرم وسبب ذلك انه ارجع الى
الهاكل المصرية التماثيل والامتنعة المقدسة التي نقلها كامبيسس
الى بابل وبلاد فارس حينما اخضع مصر واشهر اعماله حروبه
مع ملوك سوريا انتقاماً من لاوديكي امرأة انطيوخس ثايوس التي
قتلت اخنوخ برينيكي كما علمت في الفصل الثالث (١)

وكان ايرجنس مهنياً وادبياً مثل ابيه وجده فاعلى في
بلاده منار المعارف والعلوم وهو ستر ملك فاضل ملك على
الديار المصرية لان اكثر ابناء الذين توالوا بعده كانوا
رجالاً ظالمين ووحوشاً ضارية واهل بطلموس الرابع الملقب
بفيلوباتور^(٢) فانه خلف ابيه سنة ٢٢١ ق م وافتتح اماله الشريفه
بقتله امه واخاه وكليومينس ملك بارطا الذي لجئ الى مصر
بعد واقعة سلازيا وفي سنة ٢٠٧ هب الى اورشليم وبعد ان

(١) ان الحروب التي جرت بين ملوك مصر وسوريا قد كتبت في
الفصل المشار اليه فلترجع في موضعها ادلاعي لذكرها مرة ثانية

(٢) معنى فيلوباتور محب ابيه ويدعي بذلك سخرامه لانه اُتهم
بقتل والده

ذبح الذبائح وقدم القرابين لاله اسرائيل اراد ان يدخل الى
 قدس الاقداس الذي لا يجوز لاحد ان يدخل اليه سوى رئيس
 الكهنة وذلك مرة في كل عام قيل انه لما قرب منه اخذته
 الرعدة وسقط على الارض مغشياً عليه فحملوه الى الخارج وهو
 بين حي وميت ولما عاد الى الاسكندرية عاصمة مملكته افرغ غضبه
 على اليهود القاطنين هناك فحط رتبهم ومنع من منهم لا يسجد
 للاوثان حقوق الترافع والتشاكى وجمع عدداً عديداً من اوائك
 المنكودي الحظ واطلق عليهم الافيال لتقتلهم وتدوسهم غير ان
 هذه الحيوانات لم تؤذهم البتة بل انقضت على المصريين وفتكت
 بهم فتكاً ذريعاً

وعقب تلك الاعمال المنكرة حرب اهلية دامت مدة ومات
 من جراءها خلق كثير وتوفي فيلوباتور سنة ٢٠٥ ق م وملك
 بدلاً منه ابنه بطلموس الخامس ايفانس الذي لم يات امرأه
 سوى مظالمه وفجوره فمات مسموماً سنة ١٨١ وخلفه ابنه انطيوخس
 فيلومتور وهو الذي اثار عليه انطيوخس ملك سوريا حرباً عواناً
 واخذه اسيراً وكاد يفتح جميع مملكته لولا اعتراض الرومانيين
 له واكرههم اياه على الرجوع الى بلاده وحدث انه لما بلغ
 المصريين خبر وقوع الملك اسيراً في قبضة يد انطيوخس ملكوا

عليهم اخاه بطلماوس فيزيكون وحينما عقد الصلح وعادت المياه الى
 مجاريها تنازع الاخوان الملك وترافعا الى المجلس الروماني فحكم
 المجلس بتنصيب فيلومتور مرة ثانية واعطاء فيزيكون اقليم
 كيرينيكيا ويظهر ان فيزيكون لم يرضَ بتلك القسمة بل حارب
 اخاه ووقع في يده اسيراً فعفا عنه اخوه وردَّ عليه ملكه ولما
 مات فيلومتور ارتقى فيزيكون عرش المملكة وقتل ابن اخيه
 بطلماوس او باتور ولم تكن اعماله الباقية سوى مظالم ياباها الطبع
 البشري وتنفر منها البرابرة لانه حالما استنب له الامر اخذ في
 قتل رعاياه وتنكيل من يبغضه فجرت الدماء في شوارع ومنازل
 الاسكندرية انهار اولم يكف هذا الظالم ما فعله من المنكرات
 حتي تزوج شقيقته كلبوبترة امراة اخيه ثم طلقها وتزوج بابنتها
 المدعوة باسم امها ومات سنة ١٧٠ ق م خلفه ابنه بطلماوس
 الثامن الملقب بصوترا الثاني وكثرت في ذلك الاوان الفتن
 الاهلية بسبب تنازع الراغبين في الملك وبعد ارتباكات
 وحروب عديدة جلس على اريكة البطالسة سنة ٨٠ ق م
 بطلماوس ديونسيوس او اولتس اي المزمّر وهو ابن نفل
 لبطلماوس لثيرس . واراد هذا الملك ان يصادق الرومانيين كما
 صادقهم سلفاؤه من قبله فلم يتمكن من ذلك الا بصرف دراهم

وافرة واعطاء يوليوس قيصر وبومبايس ستمائة وزنة فعصاه
المصريون لسبب المكوس الفاحشة التي فرضها عليهم وطردوه
من مصر ولكن الرومانيين اعانوه وارجعوه الى بلاده وبقي
قابضاً على زمام الاحكام الى ان مات سنة ٥٠ ق.م فخلفه ابنه
بطلماوس الثاني عشر وابنته كليوبترة وملكها مدة الا ان
الاطماع اثارت بينهما حرباً عواناً انتصر بها بطلماوس وقدر ان
يطرد اخذه الى الديار السورية

وفي ذلك الحين كانت السلطنة الرومانية منقسمة بين
بومبايس وقيصر وكان القتال قائماً بينهما على قدم وساق فظهر
قيصر خصمه وفراً وبومبايس هارباً الى مصر فخانته بطلماوس وقتله
ناسياً انعام هذا البطل العظيم عليه وعلى ابيه ولما جاء قيصر
الى اسكندرية حارب بطلماوس وقتله وملك كليوبترة مع اخيها
الصغير بطلماوس الثالث عشر الذي قتله تلك الاميرة الشريرة
وملكت وحدها.

وكانت كليوبترة اندكورة بديعة في حسنها وجمالها ففتنت
انطونيوس الروماني واستعبدته بمكرها ودهاها حتى انه طلق
امراته اوكتافيا وتزوج بها فانثار فعلة هذا غضب اوكتافوس
اوغسطس اخي اوكتافيا فاتاه مسرعاً وحاربه وقهره سنة ٢٠

ق م وكانت كليوبترة قد خاضته املأ ان تصيد بشرك جماها
 ذلك البطل الظافر فلم تنجح باقصدت ولما ئيست من الحيوة
 ات بحية وضعتها على صدرها فلدغتها وماتت وبهوتها انقضت
 دولة البطالسة التي دامت مائتين وثلاثا وتسعين سنة واصبحت
 مصر اذ ذاك ولاية رومانية وبقيت تابعة لسلاطين رومية
 وملوك القسطنطينية الى القرن السابع بعد المسيح حينما افتتحها
 العرب لعهد امير المؤمنين الامام عمر بن الخطاب

بيان اسماء ملوك مصر ومدة ملك

كل منهم

اسم الملك	لقبه	مدة ملكه	اوان ملكه	اوان موته
	سنة	سنة ق م	سنة ق م	
بطلموس الاول	صوتر	٤٠	٢٢٢	٢٨٥
بطلموس الثاني	فيلادلفس	٢٨	٢٠٥	٢٤٧
بطلموس الثالث	ابرجنس	٢٥	٢٤٧	٢٢٢
بطلموس الرابع	فيلوباتور	١٧	٢٢٢	٢٠٥
بطلموس الخامس	اينفاس	٢٤	٢٠٥	١٨١
بطلموس السادس	فيلومتور	٢٥	١٨١	١٤٦
بطلموس السابع	ابرجنس او			
فيزيكون	٢٩	١٤٦	١١٧	

اسم الملك	لقبة	مدة ملكه	اولان ملكه	الان موت
		سنة	سنة ق م	سنة ق م
بطلموس الثامن صوتراولثيرس				
بطلموس التاسع	٢٦	١١٧	" "	٨١
اسكندر الاول				
كليوبترة				
بطلموس العاشر	١	٨١	" "	٨٠
بطلموس الحادي عشر ديونسيوس				
اولوينس ٢٩		٨٠	" "	٥١
كليوبترة				
بطلموس الثاني عشر	٣	٥١	" "	٢٠
بطلموس الثالث عشر				

قال مؤلفه نجيب ابراهيم طراد هذا ما اخترت جمعه من اخبار
المكدونيين الابطال الذين خضعت لهم امم الارض صاغرة وغشيت جنودهم
سائر الاقطار فشادوا حيثما حلوا صرح المعارف والعلوم وسرت من تعاليمهم
ومدارسهم في صدور اولئك الدراسة روج التهذيب اليوناني ومهدوا بفتوحهم
سبل اتحاد الشعوب ومعرفة حقوق الانسانية والاخاء فاصبحت تلك الامم
العديدة والقبائل المختلفة رعية واحدة لراع واحد ولكن حب الرئاسة قد
اضعف هذه المملكة الواسعة الارجاء والشاسعة الاطراف وولد في قلبها
الانقسام فسقطت من اوج المجد والنفار وذلت تحت نير الرومانيين
ولا يخفى اني بذلت الجهد في شمري الحقائق ما امكن ضارباً صفحاً عن
خرافات واساطير رواها اليونانيون وهي ناتجة بالاكثرب عن جهلهم العظيم
لنواميس الطبيعة واحكامها التي لا تغير ولا ريب ان الديانات المتزلة قد

انارت عقل الانسان وشرفته وارثه جلياً فساد اعتقاد الاقدمين لان المشتري
والمرجح والزهرة وغيرها من السيارات ليست سوى اجرام متحركة في الفضاء
بقدره فاطر السماوات والارض وما بينهما وما تحت الثرى الاله القويم الذي
لا يحيط به وصف ولا تدركه الابصار وهو العزيز الحكيم

اما فن التاريخ في ديارنا العربية فيكاد لا يكون امراً مذكوراً وأكثر
التواريخ المؤلفة او المترجمة في هذا العصر غير واقية بالمطلوب لان تاريخ
اسكندر المكدوني المنتشرين الناس اشبه بقصة بني هلال والزناقي وارى
تاريخ اليونان كاضغاث احلام لسبب ترجمته الناقصة والركيكة . وقد
ارتكب جرجي افندي بني الطرابلسي صاحب تاريخ سورية اغلاطاً تاريخية
عديدة منها انتقاله لغير داعٍ من جبال لبنان وسواحل فينيقية الى بلاد
المورة واسرار فينا وسلطنة روسيا والملك شاه العجم لينقص اخبار حروب
الدولة العلية في تلك الامصار واظنه قد نسي ان تاريخ سورية
وليس تاريخ جميع الممالك المحروسة فكان الاجدر به ان يكتب كل ما هو
واجب ان يكتب عن جبل لبنان ويتناول الكلام على حروب الدولة العلية
لكتاب اخر . ومن العجب العجائب انك تراه يتكلم بحرية عن مدائن سورية
وينسب لاهل هذه القذارة ولسكان تلك سماجة الاخلاق وهو واقف
موقف المهندس الخبير والسياسي البصير غير غافل عن الاطناب في مدح
بلده طرابلس واهلها قلله دره من مورخ سوري حديث ارخ سورية ولم ير
من مدائنها سوى طرابلس وبيروت وعم صفات ما بقي بالحلم والتخمين او
حسب رواية العوام المتجولين

وما يستنكف منه ويرجي المورخ من ذرى المجد الى الحضيض اتباعه
الاغراض الشخصية كما فعل شدياق افندي صاحب تاريخ الاعيان في جبل
لبنان فانه اهل ما يجب ذكره وذكر ما كان اهلالة واجباً ولي كلام اخري
علم التاريخ وقواعده اذكرة بالتفصيل متى سنحت الفرصة

فهرس الكتاب

صفحة

٢	المقدمة
٤	التوطئة
	الباب الاول
١٠	من ابتداء ملك فيليس سنة ٢٥٦ الى حين موت اسكندر الكبير سنة ٢٢٢ ق م
	الفصل الاول
١٠	في ملك فيليس
	الفصل الثاني
٥٨	في ملك اسكندر الكبير المعروف بندي القرنين
	الباب الثاني
٩٤	من موت اسكندر سنة ٢٢٢ ق م الى حين انقراض دولة البطالسة في مصر وموت كليوباترة سنة ٢٠ ق م
	الفصل الاول
٩٤	في ما جرى بعد موت اسكندر الى حين تجزء مملكته تجزء انهاءً سنة ٢٠١ ق م على اثر واقعة ابيس
	الفصل الثاني
١٠٧	في المملكة المكدونية وبلاد اليونان من سنة ٢٢٢ الى سنة ١٤٦ ق م

صفحة

الفصل الثالث

١٢٤

في مملكة سوريا

الفصل الرابع

١٥٤

في الممالك التي انفصلت عن الدولة المكدونية السورية

الفصل الخامس

١٦٠

في مملكة مصر

تنبيه: قد وقع في الطبع بعض اغلاط طفيفة جداً مثل
تقديم حرف الزاي على الراء في لفظة الرزايا صفحة ٥ سطر ٢
وتقديم حرف الطاء على النون في لفظة تقنطوا صفحة ٢٤ سطر ٩
وورود الفصل الاول بدلاً من الفصل الثالث صفحة ٢٤
وكل ذلك ظاهر لا يخفى على الناري اللبيب



